الباب الاول

فيما يضاف الى اسم الله تعالى عز ذكره

أهل الله ، بيت الله ، رسول الله ، كتاب الله ، خليل الله ، روح الله ، أرض الله ، أسد الله ، سيف الله ، قوس الله ، رمح الله ، كلب الله ، نار الله ، ظل الله ، سعد الله ، شمس الله ، ستر الله ، يد الله ، باب الله ، ناقة الله ، مهر الله ، خاتم الله ، رحمة الله ، عمال الله ، سبيل الله ، نور الله ، حراس الله ، أمان الله ، خالصة الله ، مؤائد الله ، عين الله ، أمر الله ، طراز الله ، خلافة الله ، لعنة الله ، سجن الله ، بنيان الله ، صبغة الله ، وفد الله .

الاستشهاد

1 ———

اهل الله — كان يقال لقريش في الجاهلية أهل الله لما تميزوا به عن سائر العرب من المحاسن والمكارم والفضائل والخصائص التي هي اكثر من أن تحصى ، فمنها مجاورتهم بيت الله تعالى وايثارهم سكن حرمه على جميع بلاد الله وصبرهم على لأواء مكة وشدتها وخشونة العيش بها ، (ومنها) ما تفردوا به من الايلاف والوفادة والرفادة (الرفادة شيء تترافد به قريش في الجاهلية تخرج فيما بينها مالا تشتري به للحاج طعاما وزبيبا) والسقاية والرياسة واللواء والندوة (ومنها) كونهم على ارث من دين أبويهم ابراهيم واسماعيل عليهما السلام من قرى الضيف ورفد الحاج والمعتمرين والقيام بما يصلحهم وتعظيم الحرم وصيانته عن البغي فيه والالحاد وقمع الظالم ومنع المظلوم (ومنها) كونهم قبلة العرب وموضع الحج الاكبر ويؤتون من كل أوب بعيد وفج عميق فترد عليهم الاخلاق والعقول والآداب والالسنة واللغات والعادات والصور والشمائل عفوا بلا كلفة ولا غرم ولا عزم

Digitized by Google

ولا حيلة فيشاهدون مالم تشاهده قبيلة وليس من شاهد الجميع كمن شاهد البعض ولا المجرب كالغمر ولا الاديب كالفضل ،فكثرت الخواطر واتسع السماع وانفسحت الصدور ورأوا الغرائب التي تشحذ والاعاجيب التي تحفظ ،فثبتت تلك الامور في صدورهم واختمرت وتزاوجت فتناتجت وتوالدت وصادفت قريحة جيدة وطينة كريمة، والقوم في الاصل مرشحون للامر الجسيم ،فلذلك صاروا ادهى العرب وأعقل البرية وأحسن الناس بيانا وصار أحدهم يوزن بأمة من الامم وكذلك ينبغي ان يكون الامام. فاما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان يزن جميع الامم (ومنها) ثبات جودهم وجزالة عطاياهم واحتمالهم المؤن الغلاظ في أموالهم المكتسبة من التجارة ،ومعلوم ان البخل والنظر في الطفيف مقرون بالتجارة التي هي صناعتهم ،والتجار هم أصحاب الترجيح والتكسب والتدنيق، وكان في اتصال جودهم العالي علي الاجواد من قوم لا كسب لهم من التجارة عجب من العجب واعجب من ذلك أنهم من بين جميع العرب دانوا بالتحمس والتشدد في الدين فتركوا الغزو كراهة للسبي واستحلال الاموال ،فلما زهدوا في الغصوب لم يبق مكسبة سوى التجارة، فضربوا في البلاد الى قيصر بالروم والنجاشي بالحبشة والمقوقس بمصر وصاروا باجمعهم تجارا خلطاء ، فكانوا مع طول ترك الغزو اذا غزوا كالاسود على براثنها مع الرأي الاصيل والبصيرة الناقدة ، فهذا يسير من كثير خصائصهم في الجاهلية (فلما)جاء الله تعالى بالاسلام وبعث منهم خير خلقه وأفضل رسله محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه، تظاهر شرفهم وتضاعف كرمهم وصاروا على الحقيقة أهلا لان يدعوا أهل الله، فاستمر عليهم وعلى سائر أهل مكة وعلى أهل القرآن هذا الاسم حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ـ اهل القرآن هم أهل الله وخاصته ـ وقال لعتاب بن اسيد لما بعثه

Digitized by Google

الى مكة ـ هل تدري على من استعملتك استعملتك على اهل الله ـ وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه نافع بن عبد الحرث الخزاعي حين قدم عليه من مكة من استخلفت على مكة؟ قال ابن ابزي قال استخلفت على أهل الله مولى ؟قال انه أقرؤهم لكتاب الله تعالى قال ان الله تعالى يرفع بالقرآن أقواما (قال) بعض السلف حسبك من قريش أنهم اهل الله واقرب الناس بيوتا من بيت الله واقربهم قرابة من رسول الله ولم يسم الله تعالى قبيلة باسمها غير قريش وصارت فيهم ولهم الخصال الاربع التي هي أشرف خصال الاسلام ـ النبوة والخلافة والشوري والفتوح ـ فليس اليوم علي ظهر الارض وممالك العرب والعجم وفي جميع الاقاليم السبعة ملك في نصاب نبوة وامامة في مغرس رسالة الامن قريش ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم ـ الائمة من قريش ـ وقال عليه السلام ـ قدموا قريشاً ولا تتقدموها وتعلموا منها ولا تعالموها (وانشد)

ان قريشاً وهي من خير الامم لايضعون قدما على قدم

أي يتبعون ولا يتبعون (وقال الاعشى)وهو يعاتب رجلا و يخبر انه مع شرفه لم يبلغ مبلغ قريش

فما أنت من أهل الحجون ولا الصفا ولا لك حق الشرب في ماء زمزم

وسيمر بك في هذا الكتاب من نكت فضائلهم وغرر غرائبهم ماتكثر فائدته وتطيب ثمرته وان كان لامزيد على وصف الجاحظ لهم ومدحه اياهم وتخصيصه بني هاشم منهم فانه رحمه الله التقى جمة فصاحته واستنزف بحر بلاغته في فصل له وهو قوله: العرب كالبدن وقريش روحها وهاشم سرها ولبها وموضع غاية الدين والدنيا منها وهاشم ملح الارض وزينة الدنيا وحلي العالم والسنام الاضخم والكاهل الاعظم ولباب كل جوهر كريم وسر كل عنصر شريف والطينة

Digitized by Google

البيضاء والمغرس المبارك والنصاب الوثيق ومعدن الفهم وينبوع العلم ومناهل الظامئ الى الحلم والسيف، الجسام في العزم مع الاناة والحزم، والصفح عن الجرم والاغضاء عن العثرة، والعفو عند القدرة، وهم الانف المتقدم والسنام الاكوم والعزم المشمخر والصيابة والسر وكالماء الذي لايخسه شيء وكالشمس لاتخفى بكل مكان وكالنجم للحيران والماء البارد للظمآن ومنهم العمران والاطيبان والشيطان والشهيدان وأسد الله، وذو الجناحين، وسيد الوادي، وساقي الحجيج وحليم البطحان، والبحر والحبر، والانصار أنصارهم، والمهاجر من هاجر اليهم او معهم والصديق من صدقهم، والفاروق من فرق بين الحق والباطل منهم، والحواري حواريهم، وذو الشهادتين لانه شهد لهم، ولا خير الا هم أو فيهم أو لهم أو معهم أو انضاف اليهم، وكيف لايكونون كذلك ومنهم رسول رب العالمين، وامام الاولين والآخرين، وسيد المرسلين وخاتم النبيين، الذي لم تتم لنبي نبوة الا بعد التصديق به والبشارة بمجيئه، الذي عمّ برسالته مابين الخافقين، واظهره الله على الدين كله ولو كره المشركون، فقال، نذيراً للبشر، وقال، يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً، وقال، بعثت الى الاحمر والاسود والى الناس كافة، وقال، نصرت بالرعب من مسيرة شهر، وأعطيت جوامع الكلم، وعرضت عليّ مفاتيح خزائن الارض، وقال انا أول شافع ومشفع وأول من تنشق عنه الارض « وقد أقسم » الله سبحانه وتعالى بحياته في القرآن فقال، لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون، وقال، ن والقلم استفتاح وقسم ثم قال، وما يسطرون، فاكد القسم، وفسر المعنى ثم قصد تبيين فقال، انك لعلى خلق عظيم، ولا عظيم اعظم ممن عظمه الله كما انه لاصغير اصغر ممن صغره الله، فأي ممدوح اعظم وافخر واسنى واكبر من ممدوح مادحه الله وناقل مديحه وراوية كلامه جبريل والممدوح محمد صلى الله عليه وسلم.

Digitized by Google

(قال) مؤلف الكتاب – وكما سمتهم العرب أهل الله سمي محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي بن هاشم آل الله، وكان يطلب مهاجاة محمد بن يزيد المسلي من ولد مسلمة ابن عبد الملك بن مروان : وكان المسلي يأبى ذلك ويقول لأهاجي رجلا في دولته ، وكان اذا فخر في قصيدة نقض عليه محمد – فمن ذلك قول المسلي – اما صفاتي فلها شان – وهي طويلة يفخر فيها بني أمية، فقال محمد بن عبد الملك على وزنها قصيدة أولها

انا ابن آل الله من هاشم ... حيث نمى خير واحسان
من نبعة منها نبي الهدى ... مؤنقة والفرع فينان
منا عليّ بن أبي طالب ... ومنك مروان وسفيان
مولاك في الايمان لا تنسه ... ان كان في قلبك ايمان
آمن بالله وآياته ... وانتم صم وعميان

وأول من قال لهم – عترة الله – ابراهيم بن المهدي فانه لما اغارت الروم بعد انصراف المعتصم على المسلمين واسرت خلقاً كثيراً منهم دخل على المعتصم وأنشده قصيدة يحضه بها على جهادهم . فمنها قوله

يا عترة الله قد عاينت فانتقمي ... تلك النساء وما منهن يرتكب
هب الرجال على اجرامها قتلت ... ما بال أطفالها بالذبح تستلب

وقبل ابراهيم قد جعلهم الحارث بن ظالم المريّ قرابين الله يتقرب اليه بهم لانهم هم، فقال

اذا فارقت ثعلبة بن سعد ... واخوتهم نسبت الى لؤيّ
الى نسب كريم غير وغد ... وحيّ هم أكارم كل حيّ
وان تعصب بهم نسبي فمنهم ... قرابين الآله بنو قصيّ

Digitized by Google

وفي المناسبة بين العترة والقرابين خفاء

بيت الله — كما ان اهل مكة أهل الله والحجاج زوار الله فالكعبة بيت الله الذي جعله الله مثابة للناس ، وقد كانت العرب في الجاهلية لاتبني بيتا مربعاً تعظيماً للكعبة ،وقد كانت تحلف ببيت الله كما قال زهير

فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم

وقال النابغة

فلا ورب الذي قد زرته حججاً وماهريق على الانصاب من جسد

وقال الله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام : ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون

فمن خصائص الحرم انه بواد غير ذى زرع ولاشجر ويوجد فيه كل ثمرات الاشجار والزرع وغيرها. ومن خصائصه ان الذئب يريغ الظبي ويعارضه ويصيده فاذا دخل الحرم كف عنه (ومن) خصائصه انه لايسقط على الكعبة حمام الا وهو عليل يعرف ذلك من امتحنه وتعرف حاله، ولا يسقط عليها مادام صحيحاً (ومن) خصائصه ان الطير اذا حاذت الكعبة انفرقت فرقتين ولم تعلها (ومن) خصائصه انه لايراه أحد ممن لم يكن رآه الاضحك أو بكى (ومنها) انه اذا أصاب المطر الباب الذي من شق العراق كان الخصب في تلك السنة بالعراق، وان أصاب الذي من شق الشام كان الخصب بالشام واذا عم جوانب البيت كان الخصب عاماً في البلدان (ومنها) ان الجمار ترمى في ذلك المرمى منذ يوم حج الناس البيت على طول الدهر ثم كانه الى اليوم على مقدار واحد ولولا انه موضع الآية والعلامة والاعجوبة التي فيها لقد كان كالجبال هذا من غير أن

تكتسحه السيول أو يأخذ منه الناس. ومن سنتهم ان من علا الكعبة من العبيد فهو حر لا يرون الملك على من علاها ولا يجمعون بين عز علوها وذل الرق، وبمكة رجال من الصلحاء لم يدخلوها قط اعظاماً لها، ومن يستطيع ان يدعي الاحاطة بفضائل بيت الله وخصائصه؟ (ومن) بارع التمثل به قول بعض المحدثين في الحسن بن المخلد وقد خلع عليه

أبا محمد المسعود طالعه ... فت البرية طراً ايما فوت
زهت بك الخلعة الميمون ظاهرها ... كزهو خلعة بيت الله بالبيت

وقال آخر ـ وكعبة الله لا تكسي لأعوان ـ

3 رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال الله عز وجل ـ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة. ومن تمثل به فاحسن به جداً ابن الرومي حيث قال في التمثيل لتفضيل الولد على الوالد

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم ... كلا لعمري ولكن منه شيبان
وكم أب قد علا بابن ذرى شرف ... كما علا برسول الله عدنان

وقال آخر في تفضيل الآخر على الاول

كذاك رسول الله آخر مرسل ... وما مثله فيما تقدم مرسل

وقال الطائي في الاعتذار من اختيار غير الخيار واصطناع من لا يصلح الصنيعة

هذا رسول الله صفوة ربه ... من بين باد في الانام وقار
قد خص من أهل النفاق عصابة ... وهم أشد أذى من الكفار
فاختار من سعد أمين بني أبي ... سرح لوحي الله غير خيار
حتى استضاء بشعلة النور التي ... رفعت له سجفاً عن الاسرار

4 كتاب الله ـ قال ابن الرومي متمثلا به

obeikandi.com
Digitized by Google

وكانما يمناي حين تناولت يمناك اذ صافحتني بكتاب
أخذت كتاب الله وهو مبشر بكرامة الرضوان يوم حساب

5 خليل الله عليه الصلاة والسلام — اتخذ الله ابراهيم خليلاً واتخذ محمداً حبيباً والحبيب أخص من الخليل في الشائع المستفيض من العادات، ألا تراه تعالى قال له عليه الصلاة والسلام - ماودعك ربك وما قلى - بمعنى احبك ومقتضى هذه اللفظة انه اتخذه حبيباً، ومما يؤيد ذلك ويؤكده انه تعالى لا يحب أحداً مالم يؤمن بمحمد ويتبعه، ألا تسمعه يقول - قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله - (ومن) ملح في التمثيل بخليل الله، الاصمعي حين استقرضه صديق له من خلص أصدقائه فقال - نعم وكرامة ولكن سكن قلبي برهن يساوي ضعف ما تلتمسه فقال له ياأباسعيد ألست واثقاً بي؟ فقال بلى ولكن هذا خليل الله كان واثقاً بربه حين قال - رب أرني كيف تحيي الموتى. قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي

6 روح الله — قال تعالى في ذكر عيسى عليه السلام - وكلمته القاها الى مريم وروح منه - فلذا قيل له روح الله كما قيل لابراهيم خليل الله ولموسى كليم الله عليهم الصلاة والسلام، والارواح كلها منه وله وانما اضيفت روح الله اليه على سبيل الاختصاص (ومما) يستملح لابي أحمد بن أبي بكر الكاتب قوله لعلي بن عيسى الوزير — ويروي لابن بسام — وهو بقوله أشبه

لست روح الله عيسى انما أنت بن عيسى
كلم الناس فان الله قد كلم موسى

7 أرض الله — قد أكثر الناس في الحث على السير في الارض لطلب الرزق قال منصور بن مادان

فسر في بلاد الله والتمس الغنى فما الكرج الدنيا ولا الناس قاسم

Digitized by Google

وقال البحتري

شرقا وغربا تجد من صاحب عوصاً فالارض من تربة والناس من رجل

وقال سعيد بن محمد الطبري

ساغنى بالهبيد و باللبيد وبالفلوات عن قصر مشيد

فارض الله واسعة أمامي اذ ضاق الفضاء على البليد

ومعناه الهبيد الحنظل واللبيد الحوالق أي اسغنى بالحنظل ومرعى البر عن استصحاب زاد

وكأن أحسن ما قيل من ذلك مقتبس من قوله عزّ ذكره — ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها —

أسد الله — كان يقال لحمزة بن عبد المطلب أسد الله لتقدم قدمه في الحرب وشدة اقدامه على اعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما قال حمزة يوم حرب بدر ، أنا أسد الله وأسد رسول الله ، قال له عتبة بن ربيعة أنا أسد الحلفاء ، قال الزبير بن بكار لم يعرف لعتبة الا هذه الكلمة وكلمة أخري قالها يوم بدر أيضاً لابي جهل وهي قوله في كلام جرى بينهما ، يامصغر استه ، ولست أدري أيّ رفث في قوله أنا أسد الحلفاء

سيف الله — خالد بن الوليد بن المغيرة أبو سليمان سماه النبي صلى الله عليه وسلم سيف الله لحسن آثاره في الاسلام وصدقه في قتال المشركين فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نظر اليه والى عكرمة بن أبي جهل قرأ — يخرج الحي من الميت — لانهما من خيار الصحابة وأبواهما أعدى عدوّ الله ورسوله . وروى أبو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى خالد رضي الله عنه لابساً درعه فقال ، نعم المرء خالد ، وكان على مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم

obeikandl.com

Digitized by Google

حنين وهو الذي تولى كسرا كثر الاصنام وهدم جل الاوثان التي كانت قريش تعبدها وسمع من أجوافها همهمة نحو أصوات البقر حتى فتنت بها ، ولما هدم عزى رمته بالشرر حتى أحرقت عامة نفذه فعاده النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الجاحظ وما أشك في أنه قد كانت للسدنة (السدنة خدمة الاوثان) حيل وكمين ولو سمعت أو رأيت بعض ما أعد الهند من هذه المخاريق (حيل النار ونحوها) في بيوت عباداتهم اعلمت ان الله تعالى قد منّ على جملة المسلمين بالمتكلمين الذين نشأوا فيهم، وقال في موضع آخر،وما زالت السدنة تحتال للناس من جهة النيران بانواع الحيل كاحتيال رهبان كنيسة الرّها لمصابيحها حتى أن زيت قناديلها ليستوقد لهم من غير نار في بعض ليالي أعيادهم وبمثل ذلك احتال السادن لخالد بن الوليد حتى حين رماه بالشرر ليوهمه ان ذلك من الاوثان عقوبة على ترك عبادتها وانكارها والتعرض لها حين قال: ياعزى كفرانك لاسبحانك اني رأيت الله قد أهانك قال: وجعلت قريش وقد اهوى خالد بسيفه الى العزى تصيح ياعزى حبليه ياعزى عزّ ريه وليس ينثني من تهاويلهم وعلاها بالسيف حتى كسرها . وفي الروايات ان العزى كانت ثلاث شجرات من سمر فارسل النبي صلى الله عليه وسلم خالدا رضي الله عنه ليعضدها فمضى خالد وعضد أكبرها وترك اثنتين فلما انصرف الى النبي صلى عليه وسلم قال أفعلت ياخالد قال نعم يارسول الله قال فما رأيت شيئاً قال لا قال فارجع اليها فاعضدها فرجع فعضد الكبرى منهما ثم اقبل ليعضد الصغرى فاذا جنية قد خرجت عليه من جوفها ناشرة شعرها واضعة كفها على كعبها تصرف بانيابها فشد عليها خالد وهو يقول: ياعزي كفرانك لاسبحانك اني رأيت الله قداهانك ثم ضربها ضربة فلق رأسها وانصرف الى رسول الله صلي الله عليه

Digitized by Google

وسلم فاخبره بالذي رأى ، فقال تلك جنية العزى ولا عزى للعرب بعدها، ولما قتل خالد بن الوليد بني جذيمة وهم من كنانة بالقميصاء (ماء لجذيمة) وجاء الخبر الى رسول الله فقال :اللهم اني أبرأ اليك من فعل خالد: وودّاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت أيام الردة حسن بلاء خالد فيها، وكان عميدا عند أبي بكر رضي الله عنه فبعثه الى طليحة فهزمه ،وصالح أهل اليمامة،ونكح ابنة مجاعة ،وكان اذا صار اليه المال قسمه في أهل الغزو ولم يرفع الى أبي بكر رضي الله عنه حساباً ،وكان يقدم على أشياء لا يراها أبو بكر رضي الله عنه كقتله مالك بن نويرة ، ونكاحه امرأته من غير ان ترجع عن ردتها، وكان أبو بكر يهب سيئآته لحسناته،ويقول.اذا كلمه عمر وغيره في عزله ،اني لا كره أن أغمد سيفا سله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم انه استعمله على الشام فلم يزل بها حتى عزله عمر رضي الله عنه، ولما اعتلّ خالد علة الموت جعل يقول: لقيت كذا وكذا زحفا فما في جسدي موضع الا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ،وها أنا ذا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء،ولما توفي لم تبق امرأة من بني المغيرة الا وضعت لمتها على قبره أي حلقت رأسها ،ولما ارتفعت أصوات النساء عليه انكرها بعض الناس فقال عمر رضي الله عنه:دع نساء بني المغيرة يبكين ابا سليمان ويرقن من دموعهن سجلا أو سجلين مالم يكن نقع أو لقلقة :وكان الحجاج يقول لأبناء المهلب هم سيف من سيوف الله : وكتب بعض البلغاء ، ماظنك بسيوف الله تعالى في أيدي أوليائه وقد نصره من سمائه على أعدائه

قوس الله — هي التي يقال لها قوس قزح و يشبه بها مايقل لبثه ولا يدوم مكثه، كما قال العلوي الحمالي

Digitized by Google

فشبهت سرعة أيامهم بسرعة قوس يسمي قزح
تلوّن معترضاً في السما ء فما تم ذلك حتى نزح

وفي الخبر: لاتقولوا قوس قزح ولكن قولوا قوس الله فان قزح من أسماء الشياطين، ويجوز ان تكون سميت بهذا الاسم وأضيفت الى الله تعالى لانها من فعل الله، وسائر القسي من بري الناس وفعلهم. وقد سماها الواواً الدمشقي: قوس السماء في قوله

أحسن بيوم ترى قوس السماء به والشمس مسفرة والبرق خلاس
كانها قوس رام والبروق لها رشق السهام وعين الشمس برجاس(١)

وسماها سيف الدوله: قوس السحاب في قوله، وانشدنيه ابو الحسن الافريقي المتيم قال: أنشدني سيف الدولة لنفسه وهو أحسن ماقيل في وصفها

وساق صبيح للصبوح دعوته فقام وفي أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كانجم فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفا على الجوّ ركناً والحواشي على الارض
تطرزها قوس السحاب بأحمر على اخضر في اصفر اثر مبيض
كأذيال خود اقبلت في غلائل مصبغة والبعض اقصر من بعض

رمح الله — كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا ذكر الكوفة قال هي رمح الله وفيها جمجمة العرب وكنز الايمان، كانه أراد ان اهلها سلاح على اعداء الله في المحاربة

كلب الله — قال الجاحظ يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعتيبة بن ابي لهب: أكلك كلب الله، فاكله الاسد. وفي هذا الخبر فائدتان احداهما انه ثبت

(١) البرجاس بالضم عرض ينصب في الهواء على رأس رمح ونحوه وهو مولد

بذلك ان الاسد كاب الله ، والثانية ان الله تعالى لا يضاف اليه الا العظيم من جميع الاشياء من الخير والشر ، اما الخير فقولهم بيت الله ، واهل الله ، وزوار الله ، وكتاب الله ، وارض الله ، وخليل الله ، وروح الله ، واشباه ذلك . واما الشر فكقولهم دعه في لعنة الله تعالى وسخطه وأليم عذابه ، ودعه في نار الله وسقره

نار الله — قال الجاحظ كل شيء اضافه الله تعالى الى نفسه فقد عظم شأنه وشدد أمره ، وقد فعل ذلك بالنار فقال : نار الله الموقدة . وحكى ابو منصور العبدوني الكاتب : تنجزت جوازاً لرجل قبيح الخلقة وحش الصورة غاية في الدمامة والسماجة فلم يقدر الكاتب على تمليته ، فكتب : يأتيك بهذا الجواز آية من آيات الله ونذره فدعه يذهب الى نار الله وسقره ، وقرأت في اخبار ابي دلامة زيد بن الجون ، انه أخذ ليلة وهو سكران فخرق طيلسانه وحبس فكتب من الغد الى المنصور ابياتا منها

أمن صهباء صافية المزاج ... كأن شعاعها ضوء السراج
وقد طبخت بنار الله حتى ... لقد صارت من النطف النضاج
أقاد الى السجون بغير جرم ... كأني بعض عمال الخراج
امير المؤمنين فدتك نفسي ... علام حبستني وخرقت ساجي (١)
ألا اني وان عانيت شرا ... لخيرك بعد هذا الشر راج

فاستدعاه واستنشده الابيات فأنشده اياها فأمر له بالف درهم ، فلما ولى ليخرج قال الربيع : افهم امير المؤمنين معنى قوله ، وقد طبخت بنار الله قال قد فهمت ، قال فما عني بها ، قال عني بها الشمس ، فقال علي به ، فلما جاء قال يا عدو الله ما عنيت بنار الله ، قال نار الله الموقدة التي تطلع على فؤاد من اخبرك يا امير المؤمنين ، فضحك منه وامره بالانصراف

(١) الساج الطيلسان

obeikandl.com

Digitized by Google

شمس الله ــ عهدي بالامير السيد ادام الله تأييده ينشدني فائية ديك الجن من أولها الى آخرها ، وهي فائقة رائقة يزداد حسنها لجريها على لسانه وتكتسي شعاراً انيقاً من عباراته ، ومنها

وصفراوين من جلب الامانى اذا جلبت ومن حلب القطاف
ادرّا منهما فلكا وشمساً وشمس الله مسرجة الغلاف

ظل الله ــ يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: السلطان ظل الله في أرضه، وأنشدني أبو الفتح محمد البستي لنفسه

ياقوم أرعونى اسماعكم حتى أؤدي واجب الفرض
أشهد حقاً أن سلطانكم ليس بظل الله في الارض

سعد الله ــ قال الاصمعي . من امثال العرب، اسعد الله اكثر ام جذام وهما حيان بينهما فضل بين لايخفى الا على جاهل لايعرف شيئاً ، قال الشاعر

لقد أفحمت حتى لست تدري أسعد الله أكثر أم جذام

وضمن الصاحب أبو القاسم اسماعيل ابن عباد معظم هذا البيت شعراً له كتب به في صباه الى بعض اخوانه، فمنه

كتبت وقد سبت عقلي المدام وساعدني على الشرب الندام
واسرفنا فما ندري لسكر أسعد الله أكثر أم جذام

وسعد من بين قبائل العرب مخصوصة بالفصاحة وحسن البيان، وكان النبي صلى الله عليه وسلم مسترضعاً فيهم وظئره حليمة السعدية هي التي تسلمته من عبد المطلب فحملته الى المدينة فكانت ترضعه وتحسن تربيته، ولما ردته الى مكة نظر اليه عبد المطلب وقد نما نموّ الهلال وهو يتكلم بفصاحة، وامتلأ سروراً وقال جمال قريش وفصاحة سعد وحلاوة يثرب . وكان صلى الله عليه وسلم يقول

obeikandl.com

Digitized by Google

أنا أفصح العرب بيداني من قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر فانى ياتيني اللحن . وكان شبيب ابن شيبة من افصح الخطباء وهو من بني سعد وفيه يقول أبو سخيلة

اذا عدت سعد على شيبها على فتاها وعلى خطيبها
من مطلع الشمس الى مغيبها عجبت من كثرتها وطيبها

ناقة الله ـ النوق وغيرها من المخلوقات كلها لله، ولكن هذه الناقة لما كانت آية من آيات الله تعالى ومعجزة لنبيه صالح عليه السلام خصت بالاضافة الى الله تعالى كما قال ـ ناقة الله وسقياها ـ وذلك أن ثمود قالوا لصالح: ان اردت أن نؤمن لك فأخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشراء تبرك بين أيدينا وتمخض كما تمخض النوق الحوامل وتنتج سقياً منها . فصلى صالح ركعتين ودعا الله تعالى فانشقت الصخرة عن ناقة عظيمة الخلق حسنة الصورة فبركت بين أيديهم وتمخضت ونتجت سقياً مثل امه في عظم الخلقة ،فقال لهم صالح عن الله تعالى ـ هذه ناقة الله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ـ فاقتسموا الماء فكان لهم يوم وللناقة يوم، فاذا كان يوم الناقة توسعوا في اللبن ماشاؤا، واذا كان يومهم لم يكن للناقة ماء فنفسوا (نفس به بالكسر أي ضن به يقال نفست عليه الشيء نفاسة) عليها بشرب يومها وتآمروا في عقرها ،فقال لهم صالح ـ هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم ـ فانبعث أشقاها (قدار بن سالف)وعقرها بامرهم تمرداً، فرفع السقب رأسه الى السماء ورغا بحنين وأنين ،فقال لهم صالح عليه السلام ـ تمتعوا في دياركم ثلاثة أيام ـ ثم جاءهم العذاب في اليوم الرابع ـ وأخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين ـ وصارت ناقة الله مثلا سائراً على وجه الدهر ،ور بما قيل لها ناقة صالح، وصار عاقرها مثلا في الشقوة والشؤم، وهو أحمر ثمود، وصارت ثمود مثلا في الفناء والهلاك. ومن ظريف التمثيل

Digitized by Google

بهذه القصة قول والي اليمامة في خطبته ـ أيها الناس لاتجترئوا على الله فانه لايقر على المعاصي عباده، ولقد أهلك امة عظيمة من أجل ناقة قيمتها ثلاثمائة درهم فسمي مقوم الناقة . وقد اكثر الناس من ضرب المثل بهذه الناقة، ومن مليح ذلك قول بعضهم في العتاب والاقتضاء

حوائج الناس كلها قضيت وحاجتي لاارالك تقضيها
اناقة الله حاجتي عقرت أم نبت الحرف في حواشيها

وضرب بها ابن الرومي المثل فقال وهو يصف انساناً بشدة الاكل

شبه عصا موسى ولكنه لم يخلق الله لها فاها
رفقاً بزاد القوم لاتفنه ياناقة الله وسقياها

نهر الله — من أمثال العامة والخاصة ، اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، واذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى . ونهر معقل بالبصرة ونهر عيسى ببغداد وعليهما أكثر الضياع الفاخرة والبساتين النزهة ببغداد، وانما يريدون نهر الله البحر والمطر والسيل فانها تغلب سائر المياه والانهار وتطم عليها، ولا أعرف نهرا مخصوصاً بهذه الاضافة سواهما ، قلت ومما يجري مجرى المثل المذكور قول الشاعر

اذا جاء موسى والقى العصا فقد بطل السحر والساحر

خاتم الله — يراد بذلك ثلاثة أشياء اثنان منها للخاصة وواحدة للعامة، اما اللذان للخاصة فقولهم للدراهم والدنانير خاصة ـ خاتم الله ـ وفي الخبر، كنوز الله في أرضه فمن ارادها فليأتها بخاتمه ، وقولهم في الكناية عن العذرة خاتم الله

قال ابن الرومي في فتنة البرقعي

كم رضيع هناك قد فطموه بشبا السيف قبل وقت الفطام(١)

(١) شبا كل شيء حده

obeikandl.com

Digitized by Google

كم فتاة بخاتم الله بكر فضحوها جهراً بغير كتتام

واما الذي للعامة فقولهم ـ الصوم خاتم الله .وقولهم عند الحلف بالله على الصوم -لا والذي خاتمه على فمي

رحمة الله — قال سليمان بن عبد الملك لابي حازم الاعرج وقد خوفه عذاب الله في موعظته له حتى ابكاه :فاين رحمة الله؟ فقال أبو حازم قريب من المحسنين وكانت بالبصرة جارية تسمى رحمة الله يشبب بها بشار بن برد فقال أبو نواس يذكرها بشارا وضمن شعره بيتاً له جرى فيهما مجرى المثل لحسنه وسلامته

أحببت من شعر بشار لحبكم بيتا لهجت به من شعر بشار

يارحمة الله حلي في منازلنا وجاورينا فدتك النفس من جار

ستر الله ــ في مناجات بعض الصالحين: يارب غرني سترك المرضي عليّ فعصيتك لجهلي،فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من أعتصم ان قطعت حبلك عني : وفي الدعوات المأثورة :اللهم استرنا بسترك الجميل واظلنا بظلك الظليل.وقريء مكتوب على ستر من ستور الموصل ـ هذا ستر حسن وستر الله أحسن ـ فاماقول الشاعر

رمتني وستر الله بيني وبينها ونحن باكناف الحجاز رميم

فقد اختلف أقوال أصحاب المعاني فيه، فمن قائل انه اراد به الاسلام،وقائل انه اراد به الشيب ،وثالث قال انه اراد به الكعبة. ولما اراد الحسن البصري الحج قال له ثابت البناني: يا ابا سعيد بلغني انك تريد الحج فاحببت أن نصطحب فقال: ويحك دعنا نتعايش بستر الله اني أخاف ان نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما تمقت عليه

Digitized by Google

يد الله ـ قال الله تعالى ـ يد الله فوق ايديهم ـ ومن أبيات التمثيل والمحاضرة قول من اقتبس من قوله تعالى فقال

وما من يد الا يد الله فوقها ولا ظالم الا سيبلى بظالم

وسمعت ابا نصر سهل بن المرزبان يقول : قال أبو العيناء : كان لي خصوم ظلمة فشكوتهم الى احمد بن أبي داوود وقلت له : ان القوم قد تضافروا عليّ وصاروا يدا واحدة عليّ ، فقال : يد الله فوق ايديهم ، فقلت : ان لهم مكراً ، فقال : ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ، فقلت انهم كثيرون وأنا واحد ، فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ، وانشدت بيخارى للرادي في بكر بن مالك لما قلد سياسة الجيش بخراسان

قلد الجيش سيد هو جيش على حده
يد بكر وسيفه ويد الله واحده

عمال الله ـ هم الذين يعملون لله فاما يشتغلون بعبادته واما يجاهدون في سبيله ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم مرّ بقوم يرفعون حجرا فقال : عمال الله أقوى من هؤلاء ، وفي بعض الروايات انه قال : ألا اخبركم بأشدكم ؟ قالوا بلى ، قال من ملك نفسه عند الغضب

سبيل الله — قال الله تعالى ـ ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كانهم بنيان مرصوص ـ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : مامن قطرة أحب الى الله من قطرة دم في سبيله أو قطرة دمع في جوف الليل من خشيته

باب الله ـ قلت في كتاب المبهج . سبحان من بابه غير مرتج لمرتج . وقال عليّ بن الجهم

وافنية الملوك محجبات و باب الله مبذول الفناء

obeikandl.com
Digitized by Google

26 نور الله ـ قال النبي صلى الله عليه وسلم ـ اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله

27 حراس الله ـ عن نور بن زيد عن خالد بن معدان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ان لله تعالى عز وجل حراساً في السماء وفي الارض فحراسه في السماء الملائكة وحراسه في الارض الذين يأخذون الديوان

28 امان الله ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : لاتطرقوا الطير في أوكارها فان الليل أمان الله . وفي بعض الاخبار انه نهى عن البيات وقال : الليل امان الله عز وجل

ميزان الله ـ قال بعض الحكماء : العدل ميزان الله فلذلك هو مبرأ من كل ميل وزيل ، وعن بعض السلف : العدل ميزان الله والجور مكيال الشيطان

29 خالصة الله ـ عون بن عبد الله ، كان يقال من كان في صورة حسنة ومنصب لايشينه ووسع عليه في الرزق كان من خالصة الله تعالى

30 موائد الله ـ يروى عن الحسن البصري رحمه الله ـ الاسواق موائد الله تعالى في أرضه فمن اتاها أصاب منها

31 عين الله ـ قلت في كتابي المترجم بالمبهج ـ الملك العادل مكنوف بعون الله محروس بعين الله ، وقلت من قصيدة في السلطان الماضي

يا قاهر الملك وياختم الا ملاك بين الاخذ والصفح
عليك عين الله من فاتح للارض مستول على النجح
راياته تنطق بالنصر بل تكاد تملى كتب الفتح

32 أمر الله ـ الرياش قال : ما اعتراني هم فانشدت قول ابى العتاهية

هي الايام والغير وأمر الله ينتظر

Digitized by Google

أتيأس أن ترى فرجا فاين الرب والقدر

الا سري عني ونسمت ريح الفرج: وسمعت ابا بكر الخوارزمي يقول: لم اسمع في وصف الطفيلي ابلغ من قول الحمدوني

أراك الدهر تطرق كل دار كامر الله يحدث كل ليله

طراز الله[33] ـ قرىء على عصابة بعض جوار الخلفاء ـ مما عمل في طراز الله ـ فاستعمل الصاحب هذه الاستعارة المليحة في شعره حيث قال

هذا عليّ عليّ في محاسنه كانما حسبه أن يبلغ الاملا

وكم أقول وقد أبصرت طلعته هذا الذي في طراز الله قد عملا

وقال أيضاً

رأيت علياً في كمال جماله فشاهدت منه الروض ثاني مزنه

ولما تبدى لي طراز عذاره رأيت طراز الله في ثوب حسنه

وقال بعض أهل العصر

ديباجة الوجه من علي معمولة في طراز ربي

فحسنه ملء كل عين وحبه ملء كل قلب

خلافة الله[34] ـ كان ابو الفتح البستي يستحسن قولي في كتابي كتاب المبهج ـ الملك خلافة الله في عباده و بلاده ولن يستقيم امر خلافته مع مخالفته ، وكان يقول بودي ان لي بعض كلامه

لعنة الله[35] ـ انشدني ابو بكر الخوارزمي لبعضهم

لعنة الله والرسول وأهل الـ أرض طرا على بني مظعون

بعت في الصيف قبة الخيش فيهم ورهنت الكانون في كانون

و بلغه عن الصاحب انه كان يقول: لم اسمع جواباً اطرف وأوقع وابلغ من

obeikandl.com

Digitized by Google

جواب عبادة فانه قال لرجل : من أين أقبلت؟ قال من لعنة الله فقال رد الله عليك غربتك

سجن الله ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم. الحمى رائد الموت وسجن الله في أرضه وقطعة من النار، وفي خبر آخر. الحمى سجن الله في أرضه يحبس فيه عباده اذا شاء ويطلقهم اذا شاء

بنيان الله ـ قال النبي صلى الله عليه وسلم من هدم بنيان الله فهو ملعون. يعني من قتل نفساً، وهذه من استعاراته التي لاشيء أحسن منها

صبغة الله ـ قال الله عز وجل ـ صبغة الله ومن أحسن صبغة ـ وقلت في كتاب المبهج تعالى الله ما ابدع صنعته واحسن صبغته والطف صيغته

وفد الله ـ كتب الصاحب ابو القاسم. الحجيج وفد الله وهم له متاجرون وفي طلب ثوابه مسافرون والى بيته الحرام سائرون ولقبر نبيه صلى الله عليه وسلم زائرون. وقلت في كتابي المبهج. بشر وفد الله بفوائد الدارين

الباب الثاني

فيما يضاف وينسب الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام

وصي آدم، شهرة آدم، سفينة نوح، غراب نوح، عمر نوح، مقام ابراهيم، نار ابراهيم، صحف ابراهيم. ضيف ابراهيم، تحفة ابراهيم، وعد اسماعيل. ناقة صالح. رؤيا يوسف، ذئب يوسف، قميص يوسف. حسن يوسف. سنو يوسف، ريح يوسف، عصى موسى، نار موسى. يد موسى. بقية قوم موسى. لطمة موسى، خليفة الخضر. صبر أيوب، حوت يونس. درع داوود. نغمة داوود. مزامير داوود، خاتم سليمان، جن سليمان، سير سليمان. ملك سليمان. حمار عزير.

Digitized by Google

طب عيسى ، دم يحيي بن زكريا ، بردة النبي صلى الله عليه وسلم ، داء الانبياء فقر الانبياء ، عليهم الصلاة والسلام أجمعين

الاستشهاد

وصي آدم ـ اذا كان الانسان فضولياً داخلا فيما لايعنيه متكلفاً مالا يلزمه من التطفل على امور الناس والتهالك في الاشتغال بها قيل . فلان وصي آدم .

وقد توضع هذه الصفة مكان المدح كما قال الشاعر

وكان آدم حين حم حمامه ... أوصاك وهو يجود بالحوباء

ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم ... وكفيت آدم عيلة الابناء

ومنه اخذ أبو العيناء معنى كلامه في الحسن بن سهل وقد سأله عنه محمد ابن عبدالله بن طاهر فقال : خلف آدم عليه السلام في ولده فهو يسد خلتهم و ينقع غلتهم وقد رفع الله تعالى للدنيا من شأنها اذ جعله من سكانها وذوي الامر فيها ولما نعي الحسن اليه قال : لئن اتعب المادحين لقد اطال بكاء الباكين ولقد كان بقية وفي الناس بقية فكيف الآن وقد أودت البرية

شهرة آدم ـ يضرب بها المثل وحقت ، قال أبو عبد الله بن الحجاج من أبيات كتبها الى بعض الرؤساء وهو يشكو بواباً له انكره ولم يأذن له

خادمكم يشكو وقد جاءكم ... غلظة بوابكم الخادم

أنكرني عنكم على زعمه ... فلم أزل في عجب دائم

لانني بين بني آدم ... مذ خلقوا أشهر من آدم

سفينة نوح ـ قال النبي صلى الله عليه وسلم . ان عترتي كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تأخر عنها هلك ، وأخذ هذا المعنى أبو عثمان الخالدي فقال من قصيدة

obeikandl.com

Digitized by Google

أعاذل ان كساء التقى كسانيه حبي لاهل الكساء
سفينة نوح فمن يعتلق بحبلهم يعتلق بالنجاء

وقد تضرب سفينة نوح مثلا للشيء الجامع لان نوحا حمل فيها من كل زوجين اثنين كما يضرب المثل في ذلك المعنى بجامع سفيان ، قال بعض العصريين

يا طبيباً منجما وفقيها شاعرا شعره غذاء الروح
فهو طورا كمثل جامع سفيا ن وطورا يحكي سفينة نوح

وقال الجاحظ قال أبو عبيدة. زعم بعض المفسرين وأصحاب الاخبار ان أهل سفينة نوح كانوا قد تأذوا بالفار فمطس الاسد عطسته فخرج من منخريه زوج سنانير فلذلك السنور أشبه شيء بالاسد، وسلح الفيل زوج خنازير فلذلك الخنزير أشبه شيء بالفيل ، قال كيسان لابي عبيدة. ينبغي ان يكون ذلك السنور هو آدم السنانير وتلك السنورة حواؤها، فقال أبو عبيدة وضحك منه . ألم تعلم ان لكل جنس من الحيوانات آدم وحواء، فضحك القوم من ذلك

غراب نوح — يضرب مثلاً للرسول الذي لا يعود أو يبطئ عن ذي الحاجة من غير انجاح . وذلك ان نوحا عليه السلام أرسل الغراب من السفينة ليأتيه بخبر الماء فاشتغل بجيفة وجدها ولم يعد الى نوح حتى أرسل مكانه الحمامة فجاءته بالخبر. قال الجاحظ . يقال في المثل — فلان لا يرجع حتى يرجع غراب نوح كما يقول أهل البصرة حتى يرجع نشيط من مرو . وكما تقول أهل الكوفة حتى يؤوب مصقلة من سجستان . وكما تقول العرب حتى يؤوب القارظ العنزي. وقال بعض الشعراء في قصة له

وندمان بعثت به رسولاً فاهمل حاجتي كغراب نوح
رأى في الدير بدراً مستنيرا فساعده على دين المسيح

Digitized by Google

عمر نوح — يضرب مثلاً في الطول، قال وهب بن منبه. كان عمر نوح عليه السلام ألف سنة لانه بعث الى قومه وهو ابن خمسين سنة ولبث يدعوهم الى ان مات تسعمائة وخمسين سنة ،فذلك قوله تعالى.. فلبث فيهم ألف سنة الاخمسين عاماً..ويروى انه عاش ثلاثة قرون وعمر فيهم وهم لايجيبونه ولا اتبعه منهم الا القليل كما ذكره عز ذكره قال. وما آمن معه الا قليل . وقد اكثر الناس التمثيل بعمر نوح نظما ونثرا ،قال محمد بن مكرم لاحمد بن اسرائيل

قل لابن اسرائيل ياحمد عمرك في العالم لاينفد
ان زمانًا انت مستوزر فيه زمان عسر انكد
يالبد الدهر وياعوجه انت كنوح عمره سرمد

وقال آخر

يحتاج راجي نوالهم ابدا الى ثلاث بغير تكذيب
كنوز قارون ان تكون له وعمر نوح وصبر ايوب

وقال ابو العتاهية

لتموتن وان عمر ت ما عمر نوح
فعلي نفسك نح ان كنت لابد تنوح

وقرأت للصاحب فصلا من كتاب له الى أبي محمد العلوى علق بحفظي منه في ذكر نوح صاحبه وكان بعث به رسولا اليه: وأما صلته ولي برّه بوسميه وانفاذه للتهنئة نوحا أبقى الله سيدي بقاء سميه فقد أطاع فيه خلقاً طال ماورد ناحياضه فارتوينا من كرم غمر، وقصدنا رياضه فرعينا من شرف دثر

مقام ابراهيم — يضرب مثلا لكل مكان شريف ومقام كريم قال الله تعالى .واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى. ويروى انه كان فيه أثر عقبيه وأصابعه

Digitized by Google

فما زالت الامة تمسحه حتى عفا الاثر ،ومن أحسن ما سمعت في ضرب المثل به ما أنشده أبو اسحاق الصابي لعلي بن هارون بن علي بن يحيي المنجم في ابن أبي الحواري وقد عرفت له سقطة وثئت رجله منها

كيف نال العثار من لم يزل منـ ـه مقيد افي كل خطب جسيم
أو ترقى الاذى الى قدم لم تخط الا الى مقام كريم
لمقام النبي أحمد أو مثـ ـل مقام الخليل ابراهيم

نار ابراهيم ــ يضرب بها المثل في البرد والسلامة ، ويروى ان ابراهيم عليه السلام لما قذف في النار بعث الله له ملك الظل فكان يحدثه ويؤنسه فلم تصل النار الى أذاه مع قربه من طباع ذلك الملك، قال الله عز ذكره ،قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم .وقد شبه بها ابن الرومي الخمر فقال

وعاتقه زفت لنا من قرى كوثي(١) تلقب أم الدهر بل بنته الكبرى
رأت نار ابراهيم أيام أوقدت وصارت من الاوصاف أوصافها الحسني
حكت نورها في بردها وسلامها وباتت بطيب لايوازي ولا يحكي

وتعاطى ابن المعتز هذا التشبيه فاوجز حيث قال

ومشمولة قد طال بالقنص لبثها حكت نار ابراهيم في اللون والبرد

ولنار ابراهيم مكان آخر من باب النيران في هذا الكتاب

صحف ابراهيم ــ قال وهب بن منبه أنزل الله على ابراهيم عشرين صحيفة كلها أمثال وعبر وتسبيح وتحميد، وكان مما فيها. أيها الملك المسلط المغرور المبتلي اني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولتبني المدائن والحصون ، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا أردها ولو كانت من كافر . وفي بعض

(١) قرية بالعراق

obeikandl.com

Digitized by Google

الروايات انها ردت الى السماء فلم يبق في أيدي الناس منها شيء ،وقد يضرب بها المثل في الشيء المتروك المنسي، كما قال الصاحب في رسالة له الى بعض اخوانه: ونسيتني وما كان حقي ان انسى وطويتني في صحف ابراهيم وموسى :

ضيف ابراهيم ـ يضرب مثلا للضيف الكريم لان الله تعالى يقول في قضيته ـ هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين .قال المفسرون انما قال ذلك لان ابراهيم قام عليهم بنفسه ثم ـ مالبث ان جاء بعجل سمين فقربه اليهم قال ألا تأكلون ـ ومن كرامة الضيف تعجيل قراه قال الشاعر

اسأتم وابطأتم على الضيف بالقرى وخير القرى للنازلين المعجل

وقرأت في أخبار الحسين الجمل المصري انه دخل على قادم من مكة وعنده قوم يهنئونه وبين ايديهم اطباق من الحلوى وليس يمد أحد منهم يده اليها، فقال: والله ياقوم لقد ذكرتموني ضيف ابراهيم، قالوا وكيف؟ فقرأ ـ فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ـ ثم قال كلوا رحمكم الله . فضحكوا من قوله واكلوا وأكل معهم

تحفة ابراهيم — هي اللحم ويحكى ان الشعبي دخل على صديق له فتحدثا ساعة فلما أراد القيام قال له: لا تتفرق الا عن ذواق، فقال الشعبي اتحفني بما عندك ولا تتكلف لي مالا يحضرك ،فقال أي التحفتين أحب اليك تحفة ابراهيم أم تحفة مريم ؟ قال الشعبي اما تحفة ابراهيم فعهدي بها الساعة وأريد تحفة مريم ،فدعا له بطبق من رطب .وانما عنى بتحفة ابراهيم اللحم لان في قصته ـ فمالبث ان جاء بعجل حنيذ فقربه اليهم فقال الا تأكلون، وعنى بتحفة مريم الرطب لان في قصتها ـ وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا ـ

وعد اسماعيل ـ يضرب به المثل في الصدق لان الله عز ذكره اثنى عليه

Digitized by Google

بصدق الوعد ، فقال — واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا — وكان العلاء بن صاعد وعد البحتري مائة دينار يصله بها ، فلما حصل منها على الخلف كتب اليه أبياتا منها

المائة دينار منسية في عدة أوسعتها خلفا
لاصدق اسماعيل فيها ولا وفاء ابراهيم اذ وفى
ان كنت لاتنوي نجاحالها فكيف لا تجعلها الفا

ناقة صالح — هي ناقة الله التي تقدم ذكرها في الباب الاول ويقال لها ناقة صالح ، وكثيرا ما يضرب المثل بها من ينبه على براءة ساحته أو خفة جرمه فيقول — اني لم أعقر ناقة صالح —

رؤيا يوسف — تضرب مثلا للرؤيا الصحيحة الصادقة اذ كان عليه السلام رأى في المنام وهو ابن اثنتي عشرة سنة احد عشر كوكبا والشمس والقمر له سجدا فلما قصها على أبيه يعقوب عليه السلام. قال له يابني — لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين — فلما كان من شأنه ما كان وملك مصر ودخل عليه اخوته وأبواه وخروا له سجدا — قال ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا — ولما قال المهدي لعبيد الله بن أبي عبيد الله الكاتب وكان متهما بالزندقة: قد رأيت لك رؤيا قبيحة، فقال ياأمير المؤمنين ليست برؤيا يوسف، فغضب المهدي وأنشد

ومطلع من نفسه ما يسره عليه من اللحظ الخفي دليل
اذا المرء لم يبد الذي في ضميره ففي اللحظ والالفاظ منه رسول

ذئب يوسف — يضرب مثلا لمن يرمي بذنب جناه غيره وهو بريء الساحة منه، قال أبو عبيد الله بن الحجاج الكاتب

Digitized by Google

قد أذنب القوم وألزمته كأنهم أولاد يعقوب
اذ جعلوا يوسف في جبه ووقعوا الذنب على الذيب

قال الجاحظ قال أبو علقمة: ان الذئب الذي أكل يوسف رغمون ، فقيل له ان يوسف لم يأكله الذئب وانما كذبوا عليه، ولذلك قال الله تعالى ـ وجاؤا على قميصه بدم كذب ـ قال فهذا اسم الذئب الذي لم يأكله قبل فينبغي ان يكون هذا الاسم لجميع الذئاب فان الذئاب كلها لم تأكله . والبديع الهمذاني من فصل له ـ كذب القميص لاذنب للذيب في تلك الاكاذيب

قميص يوسف ـ أجرى الله تعالى أمر يوسف من ابتدائه الى انتهائه على ثلاثة أقمصة، أولها قميصه المضرج بدم كذب. والثاني قميصه الذي قدّ من دبر والثالث قميصه الذي القي على وجه أبيه فارتد بصيرا ، ولكل من هذه الاقمصة موضع من ضرب المثل واجراء النادرة، فيروى ان اخوة يوسف لما قالوا لابيهم — انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب ، قال لهم أروني قميصه فأروه اياه مضرجا بالدم غير ممزق ، فقال تالله مارأيت ذئبا أحلم من هذا وأرفق!! أكل ابني ولم يمزق قميصه، وأنشدني أبو عبيد الله المرزباني في كتابه (كتاب المستنير) لابي الشيص

وقائلة وقد بصرت بدمع على الخدين منهمر سكوب
أتكذب في البكاء وأنت خلو قديما ماجسرت على الذنوب
جفونك والدموع تجول فيها وقلبك ليس بالقلب الكئيب
نظير قميص يوسف يوم جاؤا على لباته بدم كذوب
فقلت لها فداك أبي وأمي رجمت لسوء ظنك بالغيوب

وأما القميص الثاني فلأبي الحارث جميز فيه نادرة ظريفة وهي: انه رؤي

Digitized by Google

في ثياب متخرقة ، فقيل له: ألا يكسوك محمد بن يحيى؟ فقال :لو كان له بيت مملوء برا وجاءه يعقوب ومعه الانبياء شفعاء والملائكة ضمناً يطلب منه ابرة ليخيط بها قميص يوسف الذي قدمن دبر ، ما أعاره أياها فكيف يكسوني؛ ونظم هذا المعنى من قال

لوان دارك أنبتت لك واحتشت ابرا يضيق بها فناء المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك ابرة ليخيط قد قميصه لم تفعل

وقال العباس بن الأحنف

وقد زعمت جمل باني أردتها على نفسها تباً لذلك من فعل
سلواعن قميصي مثل شاهد يوسف فان قميصي لم يكن قدمن قبل

وأما القميص الثالث فهومثل سائر في لطف الموقع كماقال أبو الطيب المتنبي

كأن كل سؤال في مسامعه قميص يوسف في أجفان يعقوب

وقال أبو عثمان الخالدي للوزير المهلبي وذكر معز الدولة

ان غبت أودعك الاله حياطة واذا قدمت أباحك الترحيبا
ويكون من مقة كتابك عنده كقميص يوسف اذ أتى يعقوبا

ولبلغاء المترسلين لاسيما أهل العصر منهم في التمثيل بهذا القميص نكت وغرر ـ ومن أحسنها فصل للامير السنيد أبي الفضل من رسالة الى أبيه ،وصل كتاب مولانا فعددت يوم وروده عيدا أعاد عهد السرور جديدا ورد طرف الحسود كليلا ، وقد كان حديدا ،ولم أشبهه في اهداء الروح ورد الشفاء وتلاقي الروح بعد ان أشفت على المكروه كل الاشفاء الا بقميص يوسف حين تلقاه يعقوب عليهما السلام من البشير وألقاه على وجهه فنظر بعين البصير ، فكم أوسعته لثما واستلاماً والتقطت منه بردا وسلاما، حتى لم يبق في الصدر غلة الا بردتها

obeikandl.com

Digitized by Google

ولا غمة في النفس الا طردتها ، ولا شريعة من الانس الا رويت منها وقد وردتها — ومنها فصل لأبي العباس الضبي: وصل كتاب مولانا فكان رحمة الله عند أيوب عليه السلام وقميص يوسف عند أجفان يعقوب

حسن يوسف — يضرب به المثل في شعراء العرب والعجم ، وفي الخبر ان يوسف أعطى نصف الحسن فكان النصف له والنصف لسائر الناس ، وما الظن عن النسوة لما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ، وكان أبو عيسى بن الرشيد أحسن أهل زمانه حتى انه كان أحسن من أخيه محمد الامين وهو المضروب به المثل في الحسن ، فكان يقال لابي عيسى ، يوسف الزمان ، وسيمر ذكره في موضعه من الكتاب

سنو يوسف — يضرب بها المثل في القحط والشدة وكانت سبعا متواترة . قال النبي صلى الله عليه وسلم ، اللهم اشدد وطأتك على مصر وابعث فيهم سنين كسني يوسف . فاستجاب الله دعاءه حتى شووا الجلد وأكلوا القد ، ومن قصة سنى يوسف انه كان عليه السلام قد أعد في سنى الخصب من الحنطة والشعير وسائر الحبوب في الاهراء(١) والخزائن مايسع أهل مصر وغيرهم ، فلما كانت تلك السنون الشداد جعل يوسف يبيعهم في السنة الاولى بالدراهم والدنانير حتى استغرق دراهم مصر ودنانيرها ، ثم باعهم في الثانية بالحلى والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس شيء منها ، ثم باعهم في الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها كلها ، ثم باعهم في الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق لاحد عبد ولا أمة ، ثم باعهم في الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى جمع بين ملك مصر وملكها ، ثم باعهم في السادسة بأولادهم حتى استرقهم ، ثم باعهم في السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا

(١) الهرى بالضم بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان و لجمع اهراء

Digitized by Google

حرة الا صار عبدا وصارت أمة له ، ثم أنه عليه السلام قال: اني لم أملك مصر لأملك أهلها ولم أبرهم لاجفوهم فاعتقهم كلهم - ورد عليهم أموالهم وأملاكهم وأولادهم ، فذلك قول الله عز ذكره - وكذلك مكنا ليوسف في الارض -

ريح يوسف - يضرب مثلا فيما يحس به من أثر الشيء السارّ كما يحكى ان آدم ابن عمر بن عبد العزيز استأذن على يعقوب بن الربيع وهو على الشراب فأمر برفعه واذن له ، فلما دخل قال :اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون ،فضحك يعقوب وأمر برد الشراب ونادمه يومه

عصا موسى - قال الله عز وجل وما تلك بيمينك ياموسى - قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى،قال الجاحظ من يستطيع ان يدعى الاحاطة بما في قول موسى ولي فيها مآرب أخرى الا بالتقريب وذكر ماخطر على البال .ولكنني سأذكر جملا تدخل في باب الحاجة الى العصا فمنها: انها تحمل للحية والعقرب والذئب والفحل الهائج في زمن هيج الفحول ويتوكأ عليها الشيخ الدالف والسقيم المدنف والاقطع الرجل والاعرج فانها تقوم مقام الرجل الاخرى وتنوب للاعمى عن قائده وتتخذ محراكا للتنور وهي لدق الجص والحشيش والسمسم ولخبط الشجر وهي للقصاب والمكاري فانهما يتخذان المخاصر من عصي قصار فاذا طال الشوط وبعدت الغاية استعانا في عدوهما وهرولتهما في اضعاف ذلك لاعتمادهما على وجه الارض ، وهي تعدل من ميل المفلوج وتقيم من ارتعاش المحموم ويتخذها الراعي لغنمه وكل راكب لمركبه ويدخل الرجل عصاه في عروة المزود ويمسك بيده الطرف الآخر وربما كان احد طرفيها في يد رجل والطرف الآخر في يد صاحبها وعليها حمل ثقيل وتكون ان شئت وتدا في حائط وان شئت ركزتها في الفضاء قبلة وان شئت جعلتها مظلة وان شئت

جعلت فيها زجا فكانت عدة وان زدت فيه فجعلته سنانا كانت عكازة وان زدت فيها شيئاً كانت مطردا وان زدت فيها شيئاً كانت رمحاً وان أردت كانت سوطا وسلاحا ومخصرة ، وممن ضرب المثل بعصا موسى فأحسن وأبدع ابن الرومي حيث قال

مديحي عصا موسى وذلك انني ضربت به بحر الندى فتضحضحا
فياليت شعري ان ضربت به الصفا أيبعث لي منه جداول سيحا
كتلك التي أندت ثرى الارض يابسا وأبدت عيونا في الحجارة سفحا
سأمدح بعض الباخلين لعله ان اطرد المقياس ان يتسمحا

ولو لم يفترع غير هذا المعنى البكر لكان أشعر الناس اذ شبه مديحه بعصا موسى التي ضرب بها البحر فيبس وضرب بها الحجر فانبجس وذلك ان ابن الرومى مدح جوادا فبخل ، فقال سأمدح بخيلا فلعله ان يجود على هذا القياس ومن مليح ما قيل في عصا موسى قول أبي الطيب الشعيري من اهل الشام

قل لمن يحمل العصا حيث أمسى وأصبحا
ما حوتها يد امرىء بعد موسى فأفلحا

وظرف من قال

علمت يامشاجع بن حارثة ان العصا في الوحل رجل ثالثه

نار موسي — يضرب مثلا للشيء الهين اليسير يطلب فيوجد بسببه العلق النفيس والغنيمة الباردة، قال بن عائشة : كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فان موسى ذهب يقتبس النار فكلمه الملك الجبار ، وقد اعدت ذكر هذه النار في باب النيران من هذا الكتاب

يد موسى — يشبه بها ما يوصف بحسن البياض وشعاع النور لقول الله

Digitized by Google

تعالى في قصة موسى عليه السلام ـ اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ـ وقال بعض اهل العصر في الغزل

لك صدغ كانه قلب فرعو ن ووجه كانه يد موسى
وفم قد أتى ببرهان عيسى فهو بالطيب منه يحيي النفوسا

واخترع بن طباطبا العلوي في ذكر هذا البياض معنى آخر احسن فيه على اساءته، قال لابي علي ابن رستم

انت أعطيت من دلائل رسل الله آيات بها علوت الرؤوسا
جئت فردا بلا أب وبيمناك بياض فانت عيسى وموسى

بقية قوم موسى ـ يضرب بهم المثل في الملال وقلة الصبر لانهم لم يصبروا على طعام واحد كما قال الشاعر

وقوم موسى في الزمان السائد لم يصبروا على طعام واحد

وقال أبو نواس

اتيت فؤادها أشكو اليه فلم أخلص اليه من الزحام
فيامن ليس يكفيها خليل ولا ألفا خليل كل عام
أراك بقية من قوم موسى فهم لايصبرون علي طعام

وقال العباس بن الاحنف

ياقوم لم اهجركم لملالة حدثت ولا لمقال واش حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم لاتصبرون على طعام واحد

لطمة موسى ـ تضرب مثلا لما يسوء أثره، وفي أساطير الاولين ان موسى سأل ربه ان يعلمه بوقت موته ليستعد لذلك، فلما كتب الله لسعادة المحتضر أرسل اليه ملك الموت وأمره بقبض روحه بعد أن يخبره بذلك، فاتاه في صورة آدمي واخبره

obeikandl.com

Digitized by Google

بالامر فما زال يحاجه و يلاجه وحين رآه نافذ العزيمه في ذلك لطمه لطمة فذهبت منها احدى عينيه فهو الى الآن أعور (١)

وفيه قيل

يامالك الموت لقيت منكرا لطمة موسى تركتك أعورا

وأنا بريء من عهدة هذه الحكاية

خليفة الخضر ـ يقال للرجل اذا كان جوالا في الاسفار جواباً للافاق ـ فلان خليفة الخضر ، كما قال أبو تمام في نفسه

خليفة الخضر قد يأوى الى وطن في بلدة وظهور العيس أوطاني

ثم قال

بالشام قومي و بغداد الهوى وانا بالرقتين و بالفسطاط اخواني

وما أظن النوى ترضى بما صنعت حتى تسافر بي أقصى خراساني

قال القاضي أبو الحسن على بن عبد العزيز: اما الخضر فالناس في أمره فريقان منكر ومكذب ومقر ومصدق، ومعظم أهل الشرائع والنبوات يثبت عينه وان اختلف في نعته وانما ينكره خواص من متكلمي الاسلام ومخصصي الملل فاما عوام ملتنا والسواد الاعظم من أهل الكتابيين والمجوس فهم على افتراق المذاهب بهم في اسمه وصفته وفي زمانه ومدته ، مطبقون على اثبات عبد لله صالح حي على الدهر ممدود له في الاجل جوال في الارض مغيب الشخص عن

(١) قوله فهو الى الآن أعور هذه العبارة من دسائس الملحدة ليموهوا بها ومثلها على الجهلة و يطعنوا العامة ولكن مؤلف هذا الكتاب بريء من مثل هذه العبارة وشهرة عقيدته تغني عن الذكر وما علم عليه من سوء ودليل ذلك قوله وانا بريء من عهدة هذه الحكاية

Digitized by Google

الابصار ، وربما تجاوز جهال هذه الامم الى تثبيت أمور هي أبعد من العقول واذهب في طريق الاستحالة كاستاره عن العيون وهو حاضر وقصورها عنه وهو شاهد وقطعه الامكنة البعيدة في الازمنة اليسيرة وتصوره عند ذكر كل من ذكره ومثوله بحضرة كل من دعا باسمه وان اختلفت بهم الاماكن وتباعدت بينهم المسافة ، حتى انه ليكون في أقصى المشرق وعند منتهى العمارة وفي منقطع الترب ومسقط الشمس من آخر المغرب في وقت واحد ، وربما طوى بينهما في قدر رجع البصر وزمان امتداد الطرف ، الى أكاذيب شنيعة وحماقات عجيبة ورب سفيه ماجن وخليع مارد قد استغوى ضعفة قوم فاعد لهم اثرًا في صخرة أو موطئ قدم على صفحة أرض فادعى ان رجلا حسن الهيئة والشارة جميل الرواء والسجية عطر الثوب والبزة قد ظهر في موضع كذا أو على جبل كذا ثم أراهم ذلك الاثر فلم يشك القوم ان الخضر ظهر له وان نعمة من الله اهديت اليه وكرمة من كراماته افيضت عليه فاتخذوا ذلك الماجن اماماً وتلك البقعة مشهداً ومثاباً ، واكثر الرواة والعلماء على انه صاحب موسى الذي قال له موسى - هل أتبعك على ان تعلمني مما علمت رشداً - وقال بعضهم انما كان السبب في امتداد عمره وتأخر يومه والعلة في خلوده واتصال حياته انه كان على مقدمة ذي القرنين لما اقتحم الظلمات طالباً فيها عين الحياة التي من جرع من مائها جرعة عاش مخلدا ولم يذق الموت ابدا ، قالوا : فبينما هم بين اطباق الظلمات وفي جو لا تحتمله الانوار اذ هجم الخضر على تلك العين فشرب منها حتى اكتفى ولحق ذو القرنين العين وقد غارت فلم يجد لها أثرًا فانكفأ راجعاً وغاب عنه الخضر سائحاً والله أعلم

صبر أيوب - قصته في البلاء والصبر عليه مشهورة والمثل بها سائر قال ابن لنكك

نحن من الدهر في اعاجيب نسأل الله صبر أيوب
أقفرت الارض من محاسنها فابك عليها بكاء يعقوب

حوت يونس — يشبه به النهم الاكول الجيد الالتقام والالتهام كما يشبه بعصاموسى. كما كتب أبو الخطاب الصابي الى عز الدولة أبو منصور بختيار على سبيل المطايبة ـ وأمره أن يتخير من أطايب مايقرب اليه ولا يتعذر هضمه ولا يبطئ استمراؤه وان يعتمد صدور الدجاج وخواصر الحملان و يتجنب شحوم الكلى فانها تمنع من الامعان وان يحاكى حوت يونس في جودة الالتقام وثعبان موسى في سرعه الالتهام و يبادر الطرف باستراطه (١) و يسبق النفس بازدراده

ورع داوود — قال الله عز وجل في قصه داود — وألنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد ـ قال المفسرون كان الحديد في يده كالعجين في يداحدكم وقالوا في قوله وقدر في السرد أي لاتضيق ثقب مسامير الدروع فتخرق ولا توسعها فتفلق، قالوا ولم يكن قبل داوود دروع وانما كانت صفائح من حديد مضرو بة وهو أول من عملها ولبسها وألبسها، قال أبو ذؤيب

وعليهما مسرودتان قضاهما داود امتن من سوابغ تبع

وأحسن السلامي في قوله من قصيدة لعضد الدولة

ألبستهم نسج داود فنلت بهم ملك ابن داود اذ دانت له الامم

نغمة داود — يضرب بهذا المثل في الطيب ، وكان عليه السلام اذا قام في محرابه يقرأ الزبور عكفت عليه الوحش والطير تصغي اليه، ولذلك قال ابن الرومي في ذم صياد يرمي بقوس البندق ولا يخطئ باصابته

تستأنس الطير الى قوسه كأنها محراب داود

(١) بلعته

Digitized by Google

وقال أبو علي البصير في جارية قارئة اسمها سكر

أسكرتني سكر بغير شراب وأتت اذ أتت بأمر عجاب
لم ترجع بآية من كتاب اللـ ـه حتى نسيت أم الكتاب
أذكرتني بصوتها صوت داو د يقرا الزبور في المحراب

وقال بعض العرب

لها حكم لقمان وصو رة يوسف ونغمة داود وعفة مريم
ولي سقم أيوب وغر بة يونس وأحزان يعقوب ووحشة آدم

مزامير داوود — حدث أبو عاصم عن ابن جريج قال: سألت عطاء عن قراءة القرآن على ألحان الغناء والحداء ، فقال لا بأس فقد حدثني عبيد الله ابن عمير الليثي انه كان لداود عليه السلام مزامير يزمر بها اذا قرأ الزبور فكان اذا اجتمع عليه الانس والجن والوحش والطير أبكى من حوله، قال ابن الحجاج

هذا ومعشوقتي محنجنة أطيب من جنجة بطنبور
لها غناء أشجى اذا نغمت من صوت داود المزامير

وقال المبرد: مزامير آل داود كأنها ألحانهم وأغانيهم ، وقال غيره ان طيب صوته ونغمة نغمته شبها بالمزامير ولا مزامير ولا معازف ،هناك والله أعلم

خاتم سليمان — يضرب به المثل في الشرف والعلو ونفاذ الامر وذلك ان ملكه زال عنه بعدمه وعاوده مع عوده والقصة فيه معروفة سائرة ،ويقال انه كان معجزة له كما كانت عصا موسى من معجزاته ،وبه اقتدى الملوك بعده في اتخاذ خواتم الملوك ودواوين الخاتم

جن سليمان — لما سخر الله تعالى لسليمان عليه السلام الجن والشياطين

obeikandl.com

Digitized by Google

وجعلهم يصدرون عن رأيه ويتصرفون عن أمره أضيفوا اليه فقيل جن سليمان وشياطين سليمان كما قال البحتري

كأن جن سليمان الذين ولوا ابداعها فأرقوا في معانيها

وقال غيره لبعض الملوك

شيدت قصرا عالياً مشرفاً بطالعي سعد ومسعود
كأنما يرفع بنيانه جن سليمان بن داود
لازلت مسرورا به باقياً على اختلاف البيض والسود

وأنشد الجاحظ للنابغه

الا سليمان اذ قال المليك له قم في البرية فاصددها عن الفند
وجيش الجن اني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالتصفيح والعمد

ثم قال: وأهل تدمر يزعمون ان ذلك البناء بني قبل زمن سليمان باكثر من قدر مابيننا اليوم وبين زمن سليمان، قالوا ولكنكم اذا رأيتم بنياناً عجيباً وجهلتم موضع الحيلة فيه أضفتموه الى الشياطين ولم تعاونوه بالفكر، وأنشد للعرجي

بني زياد لعمر الله مصبغة من الحجارة لم تعمل من الطين
كأنها غير ان الانس ترفعها مما بنت لسليمان الشياطين

وأحسن ما حوضر به عن شياطين سليمان قول أبي القاسم غانم بن أبي العلاء الاصفهاني في مرثية الصاحب

يا كافي الملك ماوفيت حقك من مدح وان طال تقريظ وتأبين
فت الصفات فما يرثيك من أحد الا وتزيينه اياك تهجين
مامت وحدك بل قدمات من ولدت حواء طرا بل الدنيا بل الدين
هذي نواعي العلا مذ مت نادبة من بعد ما ندبتك الحور والعين

Digitized by Google

تبكي عليك العطايا والصلات كما تبكي عليك الرعايا والسلاطين
قام السعاة فكان الخوف أقعدهم واستيقظوا بعد ما نام الملاعين
لايعجب الناس منهم ان هم انتشروا قضى سليمان فانحل الشياطين

سيرسليمان — يضرب به المثل في السرعة لان الله تعالى يقول — ولسليمان الريح غدوها شهرا و رواحها شهرا — ويروي انه كان يسير في يوم واحد من اصطخر فارس الى بيت المقدس و به ضرب المثل سلم بن عمرو حيث قال للهادي وقد ركب البريد من جرجان الى بغداد لما بلغه وفاة المنصور

لما أتت خير بني هاشم خلافة الله بجرجان
أسرع في الارض وقد سارها يحكي لنا سير سليمان

ومن المسير المذكور في العرب مسير حذيفة بن بدر ، وسيمر ذكر ذلك في الكتاب في مكانه ان شاء الله تعالى

ملك سليمان — يضرب به المثل في الاتساع والانبساط وذلك انه ملك ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وفي عوده اليه بعد ذهابه و زواله يقول الشاعر

قد زال ملك سليمان فعاوده والشمس تنحط في المجرى وترتفع

حمار عزير — يجرى ذكره في عدة مواضع ، فمنها انه يضرب مثلا للمنكوب فينتعش لان الله تعالى أحياه بعد مائة عام من موته ، قال الصاحب في أبي محمد عبد الله بن محمد بن عزير لما استوزر بعد النكبة حمار عزير ذاك لا ابن عزير — ونظر الفضل بن عيسى الرقاشي الى حمار فاره تحت سلم بن قتيبة فقال — قعدة نبي و بذلة جبار — ذهب الى حمار عزير وعيسى عليه السلام ، وقال بعض المتعصبين للحمار والقائلين بفضله : وكيف لا أحب شيأ أحياه الله بعد موتة الحشر ، يعني حمار عزير . وحكى الجاحظ عن مقاتل بن سليمان قال : قال موسى للخضر عليهما السلام

Digitized by Google

أي الدواب أحب اليك؟ قال الفرس والحمار لانهما من مراكب الانبياء ، قال الجاحظ أما الفرس فمركب أولي العزم من الرسل وكل من أمره تعالى بحمل السلاح وقتال الكفار ، وأما البعير فمركب هود وصالح وشعيب ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وأما الحمار فمركب عزير وعيسى عليهما السلام

طب عيسى — يضرب به المثل لانه كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله — ومن أمثال العرب فلان يتطبب على عيسى بن مريم ، قال المتنبي

فآجرك الاله على عليل بعثت الى المسيح به طبيبا .

وقال أبو بكر الخوارزمي

وقد كنت في تركك لي مثل تارك طهورا وراض بعده بالتيمم
وراوني كلام يقنفي اثر باقل ويترك قسا جانباً وأبن اهتم
وذي علة يأتي عليلا ليشتفي به وهو جار للمسيح بن مريم

دم يحيي بن زكريا — قال أبو عمرو بن العلاء : قيل لنافي دار فلان ناس قد اشتملوا على سوءة لهم وهم جلوس على خمرة وعندهم طنبوره فدخلنا عليهم في جماعة من رجال الحي فاذا فتى جالس في وسط الدار وأصحابه حوله وهم بيض اللحى واذا هو يقرأ عليهم دفتر شعر ، فقال الذي كان سعى بهم . السوءة في ذلك البيت فان دخلتموه عثرتم عليها ، قال فقلت لا والله لا كسفت فتى أصحابه شيوخ وفي يده دفتر علم ولو كان في ثوبه دم يحيي بن زكريا عليه السلام ، اختلفوا في مقتل يحيى هل هو بالمسجد الاقصى أو بغيره ، وعن سعيد بن المسيب قدم بخت نصر دمشق فاذا هو بدم يحيي بن زكريا يغلي ، فسأل عنه فاخبروه فقتل على دمه سبعين ألفاً فسكن ، وقد طعن في صحة هذا القول .

بردة النبي صلى الله عليه وسلم — يضرب بها المثل في البلى والخلوقة ، فيقال

Digitized by Google

أعتق من الحنطة وأخلق من البردة ، ويقال أعتق من الامبي ومن بردة النبي صلى الله عليه وسلم وهي التي كساها رسول الله صلى عليه وسلم كعب بن زهير رضي الله عنه لما أنشده قصيدته التي منها

نبئت ان رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

فاشتراها معاوية منه بستمائة دينار فلم يزل الخلفاء يتداولونها تبركا بها الى يومنا هذا ، ومن ظريف التمثيل بها قول جعيفر الموسوس في رجل استوهبه جعيفر دراعة له فقال : قد لبسها أبي وأنا أكره ان يلبسها أحد بعده

سالته دراعة لباسها يحسن لي
فقال لي اكره ان تلبسها بعد أبي
وقد رأى البردة من يلبسها بعد النبي

داء الانبياء — قال الجاحظ : ومن المفالج ادريس النبي صلى الله عليه وسلم وروي ان الفالج من أمراض الانبياء ، قال ولا اعرف اسناد هذين القولين ومثل هذا يحتاج فيه الى الرواية عن الثقات الا ماحدث به عباد بن كثير الخزاعي عن الحسن بن ذكوان عن عبد الواحد بن قيس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم داء الانبياء الفالج واللقوة ، قال الجاحظ وأكثر مايعتري الفالج المتوسطين في الاسنان لان الشباب كثير الحرارة والشيخوخة كثيرة اليبس فاكثر مايعتري بين هذين السنين

فقر الانبياء — يقال ذلك لان فقراءهم أكثر من اغنيائهم والفقر شعار الصالحين ، ويروى ان نبياً من الانبياء شكى لله تعالى شدة الفقر فاوحى الله تعالى اليه — هكذا اجرى أمرك عندي افتريد أن أعيد الدنيا من أجلك ؟ على انه

Digitized by Google

لايجوز وصف الانبياء بالفقر كما صرحوا به لان تركهم الدنيا عن قدرة ، وحديث الفقر لاأصل له

وقال البحتري

فقر كفقر الانبياء وغربة وصبابة ليس البلاء بواحد

الباب الثالث

فيما يضاف وينسب الى الملائكة والجن والشياطين

خط الملائكة ، طاووس الملائكة ، غسيل الملائكة ، قوط الملائكة ، سيرة الملائكة ، جناح الملائكة ، جناح جبريل ، حرية أبي يحيى ، سحر هاروت ، رماح الجن ، ديك الجن ، كلاب الجن ، ذبائح الجن ، جند ابليس عليه لعنة الله ، ابليس الاباليس ، صديق ابليس ، قبح الشيطان ، خطوات الشيطان ، اصابع الشيطان ، بريد الشيطان ، وكر الشيطان ، حبائل الشيطان ، قمر الشيطان ، رؤوس الشياطين

الاستشهاد

خط الملائكة — يكنى به عن الخط الرديء ، ولما وصف الله الملائكة بالكتابة فقال — كراما كاتبين — قال — ورسلنا لديهم يكتبون — ولما كان خطهم غير بين للناس واجود الخط ابينه قيل في الكتابة عن الخط الرديء خط الملائكة ، وسمعت أبا القاسم الطهماني الفقيه يقول سمعت أبا محمد يحيى بن محمد العلوى يقول : انما شبه الخط الرديء بخط الملائكة لان اردأ الخط الرقم وخط الملائكة رقم كما قال الله تعالى — كتاب مرقوم يشهده المقربون —

طاووس الملائكة — كان عندنا بنيسابور شيخ يقال له ابو بكر الفارسي

Digitized by Google

المذكر يقص ويذكر ، وكان تفسير ابن الكلبي على طرف لسانه وبسبب الاسراع فيه، وفي القراءة كان يقال هو بحذاء القرآن كناية عن حفظه له ، وكان اذا ذكر جبريل عليه السلام قال له طاووس الملائكة وما أشك في انه ليس ابا عذرة هذا اللقب وانما هو اخذ خلفا عن سلف والله اعلم

غسيل الملائكة - هو حنظلة بن أبي عامر الانصاري غسلته الملائكة ، وذلك انه خرج يوم احد فأصيب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا صاحبكم قد غسلته الملائكة ، فسألته عن ذلك امرأته فقالت : انه كان معي على ما يكون عليه الرجل مع امرأته فأعجلته حطمة بلغته بالمسلمين عن الاغتسال فخرج فاصيب وفيه يقول الاخوص وكان حنظلة خال ابيه

غسلت خالي الملائكة الابرا رميتا اكرم به من صريع

وقد ذكر المبرد نفرا ممن كان بينهم وبين الملائكة سبب ، فمنهم سعد بن معاذ هبط لموته سبعون الف ملك لم يهبطوا الى الارض قبلها ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم رجله وهو يمشي في جنازته لئلا يطأ على جناح ملك، واهتز لموته عرش الله، وفي ذلك يقول حسان

وما اهتز عرش الله من موت هالك سمعنا به الا لموت أبي عمرو

وكبر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعاً كما كبر على حمزة، وشم من تراب قبره ريح المسك : ومنهم حسان بن ثابت قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اهجهم وروح القدس معك . وقال في حديث آخر ان الله مؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن نبيه، وكان يوضع لحسان منبر في مؤخر المسجد يقوم عليه فينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهم عمران بن حصين كان تصافحه الملائكة وتعوده ثم افتقدها ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

Digitized by Google

يارسول الله ان رجالا كانوا يأتونني لم أر أحسن وجوها ولا أطيب أرواحا منهم ثم انقطعوا عني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصابك جرح فكنت تكتمه ؟ فقال أجل ، قال ثم أظهرته ؟ قال قد كان ذاك ،قال اما لو والله أقمت على كتمانه لزارتك الملائكة الى أن تموت ،وهذا جرح أصابه في سبيل الله، ومنهم جرير بن عبدالله البجلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليكم من هذا الفج ( )فان عليه مسحة ملك ،ومنهم دحية بن خليفة الكلبي كان جبريل يهبط في صورته ،فمن ذلك يوم بني قريظة لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق هبط عليه جبريل عليه السلام :فقال يامحمد أقد وضعت سلاحك وما وضعت الملائكة أسلحتها بعد ؟ ان الله يأمرك أن تسير الى بني قريظة وها أنا ذا سائر اليهم فمزلزل بهم : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن لايصلوا العصر الا في بني قريظة وجعل يمر بالناس فيقول : أمرّ بكم أحد ؟فيقولون مر بنا دحية على بغلة وعليه قطيفة خز نحو بني قريظة ،فيقول ذاك جبريل - ثم مر بهم دحية بعد ذلك ،وكان لايزال بعد ذلك اليوم ينزل على صورته كما ظهر ابليس في صورة سراقة بن مالك بن خثعم الكناني وفي صورة الشيخ النجدي يوم دار الندوة حين أشار بان تجتمع قريش فتضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيف واحد: والله سبحانه وتعالى اعلم

قوط الملائكة — قرأت وسمعت ان بقرب باب آمد صخرة عظيمة فيها صدع يخرج منه عين ماء يشرب منه الناس والانعام ،ويقال لذلك الصدع قوط الملائكة والقوط بلغتهم الفرج

سيرة الملائكة — أنشدني أبو الفتح البستي لنفسه في أبي سعد بن ملة الهروي

(١) الفج الغض الذي لم ينضج

Digitized by Google

أما الكريم أبو سعد وهمته فقد غدا في العلا أعجوبة الفلك
لو استعار الورى اكسير سيرته لكان اجودهم في سيرة الملك

جناح الملائكة — قال الله تعالى في وصف الملائكة — اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق مايشاء —

جناح جبريل — وقد ضرب المثل في البركة والشفاء بجناح جبريل بعض أهل العصر فقال في وصف رقعة في العيادة وردت عليه

أرقعة في عيادتي وردت أم رقية قد شفت لتعجيل
أم عوذة عن نبينا صدرت أم مسحة من جناح جبريل

حرية أبي يحيى — أبو يحيى هو ملك الموت وانما كنى بهذه الكنية كناية عن الموت كما كنى عن اللديغ بالسليم وعن المهلكة بالمغارة قال الصاحب في أخوين مليح وقبيح واسم المليح منهما يحيى

يحيى حلو المحيا ولكن له أخ حكى وجه ابي يحيى

وحرية ابي يحيى يراد بها مقدمة من مقدمات الموت على جهة التمثيل والاستعارة ، قال بعض اهل العصر

عذيري من الايام مدت صروفها الى وجه من أهوى يد النسخ والمحو
وأبدت بوجهي طالعات ارى بها سهام ابي يحيى مسددة نحوي
فذاك سواد الخط ينهى عن الهوى وهذا بياض الوخط يأمر بالصحو

سحر هاروت — يضرب به المثل وينسب اليه السحر دون صاحبه ماروت لان الله تعالى بدأ به فقال: وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وكذلك يقال اقصر من يأجوج ولا يقال من مأجوج قال ابن برد

وكان رجيع حديثها قطع الرياض كسين زهرا

Digitized by Google

وكأن تحت لسانها هاروت ينفث منه سحرا

وقال عبد الله بن المعتز

استرزق الله عطف الحب من رشاء يشوب تذكير عينيه بتأنيث
كأن في طرفه هاروت عضدني منه بسحر الى الاحشاء منفوث

وقال الصاحب

لقد ظن بدر التم نقص جماله فبعداً لوجه البدر مع سوء ظنه
ولو ان هاروتا رأى سحر عينه تعلم كيف السحر من حد جفنه

رماح الجن — العرب تسمى الطاعون رماح الجن وجاء في الحديث: انه وخز أعدائكم من الجن، ولما كان طاعون عمواس قام عمرو بن العاص في الناس خطيبا فقال ياأيها الناس ان هذا الطاعون قد ظهر وانما هو وخز من الشياطين ففروا منه في الشعاب، وبلغ ذلك معاذ بن جبل فانكر عليه هذا القول، ثم لم يلبث ان مات فيه، قال الجاحظ وقد كانت الطواعين تقع كثيرا فتصير تواريخ كطاعون عمواس وطاعون العذاري وطاعون الاشراف وغيرهاء ولما ملك بنو العباس رفع الله ببركتهم الطواعين والموتان (١) الجارف عن بني آدم فانها كانت تحصد فيهم حصدا وفي ذلك يقول العماني للرشيد

قد أذهب الله رماح الجن وأذهب التعليق والتجنى

يريد ما كان بنو مروان يفعلونه من مطالبة الناس بالاموال وتعذيب عمال الخراج بالتعليق والتجريد قد ذهب، وقالت امرأة قتل ابنها غيرا كفائه

لعمرك ماخشيت على عدي رماح بني مقيدة الحمار
ولكني خشيت على عدي رماح الجن أو اياك حار

(١) الموتان موت يقع في الماشية

obeikandl.com

Digitized by Google

كأنها قالت انما كنت أخشى على ابني طواعين الشام أو الحارث بن مالك الغساني فأما من يرتبط الحمير ولا يرتبط الخيل فلم أكن أخشاه ، وقال المنصور يوماً لابي بكر بن عياش : من بركتنا ان رفع عنكم الطاعون . فقال لم يكن الله ليجمعكم علينا والطاعون ، قال الصولي لما كانت سنة أربع وعشرين وثلثمائة وقع طاعون عظيم في الناس ببغداد وما جاورها

ديك الجن — هو عبد السلام بن رغبان الحمصي شاعر مفلق في المحدثين أدرك زمان المتوكل حتى قال من قصيدة له

حتى حسبت أنوشروان من خدمي وخلت ان نديمي عاشر الخلفا

ولست أعرف سبب تلقيبه بديك الجن ، ويشبه ان يكون قال بيتاً يشتمل على ذكر ديك الجن فلقب بذلك كما لقب كثير من الشعراء بأقوال تجرى لهم مجرى الشواذ والنوادر

كلاب الجن — قال الجاحظ اما قول عمرو بن كلثوم

وقد هرت كلاب الجن منا وشدّ بنا قتادة من يلينا

فانهم يزعمون ان كلاب الجن هم الشعراء

ذبائح الجن — في الحديث انه نهي عن ذبائح الجن ، وهي ان يشتري الرجل الدار أو يستخرج العين وما أشبههما فيذبح لها ذبيحة الطيرة ويضيف جماعة جند ابليس — يقال ذلك للمجان والخلعاء . قال الشاعر

وكنت فتى من جند ابليس فارتقت بي الحال حتى صار ابليس من جندي

ابليس الابالبس — قال جرير من قصيدته التي فيها

وابن اللبون اذا مالزّ في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

اني ليلقى عليّ الشعر مكتهل من الشياطين ابليس الابالبس

obeikandl.com

Digitized by Google

وكانت الشعراء تزعم ان الشياطين تلقى على أفواهها الشعر وتلقنها اياه وتعينها عليه وتدعى ان لكل فحل منهم شيطانا يقول الشعر على لسانه، فمن كان شيطانه أمرد كان شعره أجود . وبلغ من تحقيقهم وتصديقهم بهذا الشأن ان ذكروا لهم أسماء، فقالوا ان اسم شيطان الاعشى مسحل واسم شيطان الفرزدق عمرو واسم شيطان بشار شنقناق وفي مسحل يقول الاعشى

وما كنت ذا قول ولكن حسبتني اذا مسحل يبري لي القول أنطق

خليلان فيما بيننا من مودة شريكان جنيّ وانس موفق

وقال يذكره

حباني أخي الجني نفسي فداؤه بأقبح جياش العشيات مرجم

وقال أيضاً فيه

دعوت خليلي مسحلا ودعواله جهنام جزعا للهجين المذمم

وقال حسان بن ثابت

اذا ما ترعرع منا الغلام فليس يقال له من هوه

اذا لم يسد قبل شد الازا رفذلك فينا الذي لاهوه

ولي صاحب من بني الشيصبان فحينا أقول وحينا هوه

شيصبان وشنقناق رئيسان عظيمان من الجن بزعمهم، ولما ادعى بشار ان شنقناق يرغب في مصاحبته ومعاونته قال

دعاني شنقناق الى خلف بكرة فقلت اتركاني فالتفرد أحمد

يقول أحمد في الشعر أن لايكون عليه معين، قال أعشى بن سليم يرد عليه

اذا ألف الجني قرداً مشنقا فقل لخنازير الجزيرة فابشري

فجزع بشار لذلك لجزعه من قول حماد عجرد فيه

Digitized by Google

ويا أقبح من قرد اذا ما عمي القرد

لانه كان يعلم مع تغزله ان وجهه وجه قرد ، وفي زعمهم ان مع كل شاعر شيطانا يقول أعشى بني سليم

وما كان جنيّ الفرزدق قدوة وما كان فيهم مثل فحل المخبل
وما في الخوافي مثل عمرو وشيخه ولا بعد عمرو وشاعر مثل مسحل

وقال الفرزدق وهو يمدح أسد بن عبد الله القسري

ليبلغن أبا الاشبال مدحتنا من كان بالعورا ومروي خراسان
كأنها الذهب الابريز حبرها لسان أشعر خلق الله شيطان .

وقال أبو النجم

اني وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر
فما يراني شاعر الا استتر فعل نجوم الليل عينّ القمر

وقال آخر

اني وان كنت صغير السن وكان في عيني ما بعين
فان شيطاني أمير الجن يذهب بي في الشعر كل فن

وقال ابن ميادة

ولما أتاني ما تقول محارب تغنت شياطيني وجن جنونها

وقال منظور بن رواحه

فلما أتاني ما يقول ترقصت شياطين رأسي وانتشين من الخمر

وقال الزفيان العوافي

أنا العوافي فمن عاداني أذقته بوادر الهوان
حتى تراه مطرق الشيطان علمني الشعر معلمان

obeikandl.com

Digitized by Google

يعني معلما من الانس ومعلما من الجن، وقال أبو السمط لعلي بن الجهم

ان ابن جهم في المغيب يعيبني ... ويقول لي حسنا اذا لاقاني
ويكون حين أغيب عنه شاعرا ... ويضل عنه الشعر حين يراني
واذا التقينا ذاد شعري شعره ... ونزا على شيطانه شيطاني
ان ابن جهم ليس يرحم أمه ... لو كان يرحمها لما عاداني

وكان الفرزدق يقول: شيطان جرير هو شيطاني الا انه من فمي أخبث، وقيل لجعفر بن يحيى: لو قلت الشعر؟ فقال شيطانه أخبث من ان اسلطه على نفسي

صديق ابليس — هو عبد الله بن هلال الذي يقال له الساحر وكان في زمن الحجاج وكان صاحب شعبذة ونيرنجات يدعى ان ابليس يتراءى له ويصادقه ويكاتبه ويطلعه على اسراره، ولما قال الحجاج ليحيى بن سعيد بن العاص: اخبرني عبد بن هلال صديق ابليس عليه اللعنة انك تشبه ابليس، قال وما ينكر الامير ان يكون سيد الانس يشبه سيد الجن، فعجب من قوة جوابه

قبح الشيطان — بلغني عن الصاحب انه كان يستملح قول أبي علي البصير في أبي هفان ويستظرفه وكثيرا ما كان ينشده ويردده

لي صديق في خلقة الشيطان ... وعقول النساء والصبيان
فمن تظنونه فقالوا جميعاً ... ليس هذا الا أبا هفان

قال الجاحظ: انا وان كنا لم نر شيطانا قط ولا صوره لنا صادق ففي اجماع العرب والمسلمين وكل من لقيناه متفق على ضرب المثل بقبح الشيطان وهو دليل على انه في الحقيقة أقبح من كل قبيح، والكتاب انما نزل على الذين ثبت هذا في طبائعهم غاية الثبات، قال وربما قالوا فلان شيطان على معنى الشهامة والنفاذ ولذلك قالوا: لابي حنيفة شيطان خرج من البحر، قال مؤلف الكتاب قلت في

Digitized by Google

كتاب يتيمة الدهر في أبي الحسن اللجام — هو من شياطين الانس وريا حين الانس

خطوات الشيطان — قال الله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان — قال الزجاج خطوات الشيطان طرقه التي يسلكها . أي لا تسلكوا الطرق التي يدعوكم الشيطان اليها . وقال غيره أراد لا تقتفوا آثاره . قال الشاعر

يانابذا لوصايا الله خلف ظهره
وتابعا خطوات الشيطان في كل أمره
أراك لم تر ميتاً يهوي الى قعر قبره

أصابع الشيطان — كان يقال من ولاه السلطان صبعه الشيطان . قال الشاعر

فدكنت أكرم صاحباً وأبره حتى دهتك أصابع الشيطان
جرّ الاله بنانها وابانها كم غيرت خلقا من الانسان

رقى الشيطان — هي الشعر : قال جرير لما مدح عمر بن عبد العزيز فلم يعطه

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطاني من الشعر راقيا

وأما قول الشاعر

ماذا يضر سليمى ان يلم بها مرجل الرأس ذو بردين وضاح
خز عمامته حلو فكاهته في كفه من رقى ابليس مفتاح

فانه عنى برقى ابليس كلمات التغزل والخلابة والتجميش وما يجري مجراها في معاشرة النساء

مكيال الشيطان — قال بعض الحكماء : العدل ميزان الباري والجور مكيال الشيطان . كأنه أراد ما يجري في الكيل من المحازفة عند الاخذ ومن التطفيف لدى الاداء فنسب ذلك الى الشيطان

obeikandi.com

Digitized by Google

ظل الشيطان — العرب تقول للتكبر الضخم ظل الشيطان. قال الحجاج لمحمد بن سعد بن أبي وقاص : بينا أنت ياظل الشيطان أشد الناس كبراً اذ صرت مؤذناً لفلان

لطيم الشيطان — يقال لمن به لقوة أو شتر (١) يالطيم الشيطان. وكان عمرو ابن سعيد بن العاص يلقب بذلك ، ولما بلغ عبد الله بن الزبير خبر فتك عبدالملك بن مروان بعمرو بن سعيد قال في خطبته: بلغنا ان أبا الذبان قتل لطيم الشيطان، وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون، وكان عبد الملك يكني أبا الذبان لشدة بخره وموت الذبان اذا دنت من فمه

مخاط الشيطان — الخيوط التي تتراءى في الهواء عند شدة الحر يقال لها مخاط الشيطان ولعاب الشمس وخيط باطل ، ويشبه به مالا حاصل له ومالا طائل فيه ، وكان مروان بن الحكم يقال له خيط باطل لأنه كان طويلا مضطرباً

قال الشاعر

لحا الله قوماً أمروا خيط باطل على الناس يعطي من يشاء ويمنع

بريد الشيطان — الوزغ، ذكر الجاحظ عن شريك النخعي عن جرير عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : الوزغ بريد الشيطان، وفي بعض الاخبار : من قتل وزغة حط الله عنه بها سبعين خطيئة ومن قتل سبعاً كان كمن أعتق رقبة

وكر الشيطان — قال النبي صلى الله عليه وسلم : اياكم والاسواق فان الشيطان قد باض فيها وفرخ ، على سبيل الاستعارة والتمثيل وقد حذا الصاحب على تشبيهه فقال في وصف بعض مواطن الشر : عش من أعشاش العدوان ووكر من أوكار الشيطان

(١) اللقوة داء في الوجه والشتر بفتحتين انقلاب في جفن العين

Digitized by Google

حبائل الشيطان — قال بعض السلف: احذر والنساء فانهن حبائل الشيطان، وجاء في بعض الاشعار — ان النساء حبائل الشيطان —

خمر الشيطان — قال يحيى بن معاذ الرازي: الدنيا خمر الشيطان فمن شرب منها لم يفق من سكرتها الا وهو في عسكر الموتى خاسراً نادما، والله أعلم

رؤوس الشياطين — يشبه بها مايستقبح ويستهول، قال الله تعالى — انها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين — قال الجاحظ ليس من الناس من رأى شيطاناً قط على صورته، ولكن لما كان الله قد جعل في طبائع جميع الامم استقباح صورة الشيطان واستسماجه وكراهته وأجرى هذا على ألسنة جميعهم ضرب المثل به في ذلك، رجع بالايحاش والتنفير بالاضافة والتفريع الى ماجعله في طبائع الاولين والآخرين والشيوخ والصبيان والرجال والنساء، وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسرين ان رؤوس الشياطين نبات ينبت باليمن، وقول بعضهم ان الشياطين هاهنا الحيات، وحدث الصولى بأسناد له عن أبي عبيدة انه قال: لما قدمت من البصرة وصلت الى الفضل بن الربيع فسلمت عليه بالوزارة فضحك الي واستدناني حتى جلست بين يدي فرشه، ثم سألني ولاطفني واستنشدني، فأنشدته عيون أسفار أحفظها جاهلية، فقال قد عرفت أكثر هذه وازيد من مليح الشعر، فأنشدته منها فطرب لها وضحك وزاد نشاطه ثم دخل رجل في زي الكتاب له هيئة فأقعده الى جانبي وقال له أتعرف هذا؟ قال لا، قال هذا علامة أهل البصرة أبو عبيدة أقدمناه لنستفيد من علمه، فدعا له الرجل وقرظه لفعله هذا، وقال لي: والله اني كنت مشتاقاً اليك وقد سئلت عن مسئلة أفتأذن لي أن اعرفك اياها؟ قلت هات، قال قال الله عز وجل — طلعها كأنه رؤس الشياطين — وانما يقع الوعد والايعاد بما عرف مثله، وهذا لم يعرف

Digitized by Google

فقلت : انما كلمهم الله تعالى بما يعرفون وعلى كلام العرب أما سمعت قول امرء القيس

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

ولم يروا الغول ولكن لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به ، فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل .فعزمت منذ ذلك الوقت ان أضع كتابا لمثل هذا وأشباهه، فلما رجعت الى البصرة عملت كتابي الذي سميته كتاب المجاز وسألت عن الرجل فقيل هو من كتاب الوزير وجلسائه يقال له ابراهيم بن اسماعيل بن داءود الكاتب العرياني

الباب الرابع

فيما يضاف وينسب الى القرون الاولى

أحلام عاد ، ريح عاد ، أحمر ثمود، صاعقة ثمود، أكل لقمان، نخوة فرعون، صرح هامان، كنوز قارون، سد الاسكندر، نوم اصحاب الكهف ،جور سدوم، جوف حمار،

الاستشهاد

أحلام عاد — العرب تضرب المثل بأحلام عاد لما تتصور من عظيم خلقها وتزعم ان احلامها علي مقادير أجسامها، قال الشاعر يمدح قوماً

وأحلام عاد لايخاف جليسهم وان نطقوا العوراء غرب لسان(١)

وقال آخر

كأنما ورثوا لقمان حكمته علما كما ورثوا الاحلام عن عاد

(١) أي حدته

obeikandl.com

Digitized by Google

ريح عاد - يضرب مثلا في الاهلاك والافناء لقوله تعالى - وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية الآية - وقال تعالى - وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم -

أحمر ثمود — هو قدار بن سالف عاقر ناقة الله، يضرب به المثل في الشؤم والشقوة. وقد غلط زهير في قوله

فتنتج لكم غلمان شؤم كلهم كما حمر عاد ثم ترضع فتفطم

وكأنه سمع بعاد وثمود فنسب الاحمر الى عاد على ماتوهم وهو من ثمود، وكان قدار أحمر أزرق، وهو الذي ذكره الله تعالى فقال - اذ انبعث أشقاها — وعن عمار بن ياسر قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات العشيرة فلما قفلنا نزلنا منزلا فخرجت أنا وعلي بن أبي طالب ننظر الى قوم يعملون فنعسنا فسفت علينا التراب فما نبهنا الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعلي رضي الله عنه: يا أبا تراب لما عليه من التراب - ألا أعلم من أشقى الناس؟ فقال خبرني يارسول الله؟ فقال أشقى الناس أحمر ثمود الذي عقر ناقة الله واشقاها الذي يخضب هذه - ووضع يده على لحيته - من هذا ووضع يده على قرنه - فكان علي رضي الله عنه كثيراً مايقول عند الضجر لاصحابه : مايمنع أشقاها أن يخضب هذه من هذا

صاعقة ثمود هي الصيحة التي أخذتهم فاصبحوا في ديارهم جاثمين ، وانها كانت صيحة جبريل عليه السلام تضرب مثلا في الابادة والافناء كريح عاد ولما قيل ان الحجاج من بقية ثمود قال في خطبة له : أتزعمون اني من بقية ثمود والله تعالى يقول وثمود فما أبقى، صدق الله وكذبتم أنتم. ودعا أبو الفرج البيغاء على القرامطة فقال : صب الله عليهم طوفان نوح وحجارة لوط وريح عاد وصاعقة ثمود

Digitized by Google

أكل لقمان هو لقمان العادي صاحب النسور تضرب به العرب المثل في الاكل فتقول آكل من لقمان ، وتزعم انه كان يتغذى بجزور ويتعشى بمثله

نخوة فرعون — أنشدني الخوارزمي لنفسه في اللجام

رأيت اللجام في خلقه كالشعر تطبيقاً وتجنيساً
نخوة فرعون ولكنه جانس في حمل العصا موسى
وغش ابليس ولكنه خالف في السجدة ابليسا

صرح هامان — بناه لفرعون من الآجر وهو أول من استعمله كما حكى الله تعالى عن فرعون اذ قال — ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين ويقال انه جلب الفعلة لبناء الصرح من الافاق واكثرهم من الحوذ(١) حتى بنوا مايضرب به المثل للابنية الشاهقة الحصينة . ومن أحسن ما أحاضر به من ذلك قول أبي القاسم الزعفراني في تهنئة الصاحب بداره الجديدة من قصيدة أولها

سرك الله بالبناء الجديد نلت حال الشكور لا المستزيد
هذه الدار جنة الخلد في الدنـ يا فاغتنمها واختها في الخلود

ومنها أيضاً

ألزم الانس كل جاف شديد عمل الجن كل خاف مريد
فابتنوا مالوان هامان يدنو منه لم يرض صرحه للصعود

أي للصعود الى السماء في زعمه لظهور حقارته عنده . وقرأت في كتاب الجوابات المسكتة لابي عون : ان عبد الله بن حازم قال يوماً لقهرمانه :

(١) الحوذي والاحواذي الحاذق المتقن

obeikandi.com

Digitized by Google

الى أين تمضي ياهامان ؟ قال أبني لك صرحاً ، فعجب من جوابه لانه أشار الى انه فرعون ان كان هوهامان

كنوز قارون — يضرب بها المثل فيما يستعظم قدره من نفائس الاموال لقوله تعالى - وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوة - وقرأت فصلا للخوارزمي من رسائله القديمة :لو كنا نعمل على قدر النية لحملنا اليك خراج فارس وعشر الاهواز ودخل البصرة وتاج كسرى واكليل شيرين وكنوز قارون وعرش بلقيس

سد الاسكندر — هو سد ياجوج الذي جاء ذكره في القرآن وتولى بناءه ذو القرنين وهو الاسكند عند أكثر الناس، يضرب به المثل في الحصانة والوثاقة، قال المتنبي

كأني دحوت الارض من خبرتي بها وأن بنا الاسكندر السد من عزمي

وقد ضرب به المثل ابن طباطبا العلوي أيضاً فقال وهو يهجو أبا علي بن رستم ويذكر بناءه سور اصفهان ويرمي حرّته(١)

يارستمي استعمل الجدا وكدنا في حظنا كدا
فانك المأمول والمرتجى تهون الخطب اذا اشتدا
أحكمت من ذا السور ما لم تجد والله من أحكامه بدا
فخلفه نسل كثير لمن أصفت لازربونها(٢) الودا
وهم كيأجوج ومأجوج ان عددتهم لم تحصهم عدا
وانت ذوالقرنين في عصرنا(٣) جعلته ما بينهم سدا

(١) كنى بحرته عن زوجته (٢) كنى بالازربون عن غلامه (٣) يرميه بالتستر على زوجته

obeikandl.com

Digitized by Google

نوم أصحاب الكهف — يضرب مثلا للنوم الكثير لان الله تعالى يقول في قصتهم — فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا الآية — قال ابن الحجاج

قوموا فأهل الكهف مع عبود عندكم صراصر

وقصة عبود ستمر في مكانها من الكتاب ان شاء الله تعالى

صور سدوم — سدوم كان ملكا في الزمن الاول جائرا وله قاض أجور منه يضرب به المثل فيقال أجور من قاضي سدوم . قال أبو اللفت في موسى بن خلف صاحب بن الفراة

أف من دولة بموسى تقوم مانراها في البلاد تدوم
ماقضى مثل مابه النذل يقضى في جميع الامور قط سدوم

وقال آخر

لاتبع عقدة مال خيفة الجار الغشوم
واصطبر للفلك الجا ري على كل ظلوم
فهو الدائر بالا مر على آل سدوم

جوف حمار — من أمثال العرب هو أكفر من حمار وأخلى من جوف حمار وهو رجل من عاد يقال له حمار بن مويلع ، وجوفه واد له طويل عريض لم يكن ببلاد العرب أخصب منه وفيه من كل الثمرات ، فخرج بنوه يتصيدون فأصابتهم صاعقة فهلكوا فكفر . وقال لاأعبد من فعل هذا بنيّ ، ودعا قومه الى الكفر فمن عصاه قتله ، فأهلكه الله تعالى واخرب واديه ، فضرب العرب به المثل في الخراب والخلاء . قال الأفوه الاودي

وبشؤم البغي والغشم قديماً قد خلا جوف ولم يبق حمار

وقال امرؤ القيس — وواد كجوف العير — البيت

obeikandl.com

Digitized by Google

الباب الخامس

فيما يضاف وينسب الى الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم

سيرة العمرين ، درة عمر ، قميص عثمان ، فضائل علي ، صدق أبي ذر ، مشية أبي دجانة ، دهاء معاوية ، فقه العبادلة ، وليمة الاشعث ، حلم الاحنف ، زكن اياس ، زهد الحسن ، ورع ابن سيرين ، سجع المختار ، سبحة عبد الحميد ،

الاستشهاد

سيرة العمرين — هما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يضرب بسيرتهما المثل اذ لم يعهد بمثلها بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان عبد الملك بن مروان يقول انصفونا يامعشر الرعية تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر ؟ نسأل الله ان يعين كلا على كل . وقال البحتري

ان الرعية لم تزل في سيرة عمرية مذ ساسها المتوكل

وقال بعض البلغاء وقد ذكر بعض الملوك : رأيت صورة قمرية وسيرة عمرية . وقال آخر رأيت بفلان نور القمرين وعدل العمرين

درة عمر رضي الله عنه — قال الشعبي كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج ، ولما جيء بالهرمزان ملك خوزستان أسيرا الى عمر رضي الله عنه وافق ذلك غيبته عن منزله ، فما زال الموكل بالهرمزان يقتفي أثر عمر حتى عثر عليه في بعض المساجد نائما متوسدا درته ، فلما رآه الهرمزان قال : هذا والله الملك الهنيء عدلت فأمنت فنمت ، والله اني قد خدمت أربعة من ملوك الاكاسرة أصحاب التيجان فما هبت أحدا منهم هيبتي لصاحب هذه الدرة

قميص عثمان رضي الله عنه هو قميصه المضرج بالدم الذي قتل فيه يضرب

Digitized by Google

به المثل لشيء يكون سبباً للتحريش (١) وذلك ان عمرو بن العاص رضي الله عنه لما أحس من عسكر معاوية بصفين فتورا في المحاربة أشار عليه بان يبرز لهم قميص عثمان ليستأنفوا جداً جديدة في الامتعاض (٢) ففعل ذلك معاوية فحين وقعت أعين القوم على القميص ارتفعت ضجتهم بالبكاء والنحيب وتحرك منهم الساكن وثار من حقودهم الكامن . فعندها قال عمرو: حرك لها حوارها تخر (٣) وعلى ذكر هذا القميص فان المتوكل لما قتله الأتراك بمواطأة المنتصر وقضي الامر بعده وبعد المنتصر والمستعين الى المعتز لم تزل أمه قبيحة تحرضه على الايقاع بأبيه وتلومه على ميله لهم دون طلب الثار منهم ، وكان المعتز يعدها ويمنيها وهو يعلم انه لايقوي عليهم مع كثرة عددهم وشدة شوكتهم وغلبتهم على أمور الخلافة ، فأبرزت قبيحة يوماً للمعتز قميص المتوكل الذي قتل فيه وهو مضرج بالدم وجعلت تبكي وتبالغ في التقريع والتحريض كل المبالغة فلما طال ذلك منها قال لها المعتز : ياأمي ارفعي القميص والا صار قميصين، فعندها أمسكت ولم تعد لعادتها

فضائل علي رضي الله عنه -- يضرب بها المثل في الكثرة كما قال محمد بن مكرم لأبي علي البصير ، فضولك والله أكثر من فضائل علي . وقال الجاحظ لايعلم رجل في الارض متى ذكر السبق في الاسلام والتقدم فيه ، ومتى ذكرت النجدة والذب عن الاسلام ، ومتى ذكر الفقه في الدين ومتى ذكر الزهد في الاموال التي تتناصر الناس عليها ومتى ذكر الاعطاء في الماعون، كان مذكورا في هذه الخلال كلها الاعلي رضي الله عنه. وكان الحسن يقول : قد يكون الرجل

---

(١) أي الاغراء بين الناس والكلاب والتحريض على الشر (٢) من المعض وهو العنف والشدة والمقارعة (٣) الحوار ولد الناقة وتخر تصوت

Digitized by Google

عالما وليس بعابد وعابدا وليس بعالم وعالما عابدا ليس بعاقل ، وسليمان بن يسار عالم عابد عاقل. فانظر أين تقع خلال سليمان من خصال علي رضي الله عنه ؟

صدق أبي ذر — يضرب به المثل ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء بعد النبيين أصدق لهجة من أبي ذر. ومن أملح ما سمعت في ضرب المثل به قول الصاحب في انسان كذوب — الفاختة عنده أبو ذر — لان الفاختة يضرب بها المثل في الكذب وأبو ذر يضرب به المثل في الصدق

مشية أبي دجانة — هو سماك بن خرشة الانصاري رضي الله عنه كان شجاعا بطلا قد تعود الاقدام حيث تزل الاقدام ، وله آثار جميلة في الاسلام وكانت له مشية عجيبة في الخيلاء ، ونظر صلى الله عليه وسلم اليه في المعركة وهو يتبختر بين الصفين فقال: ان هذه مشية يبغضها الله الا في هذا المكان . وكان يقال له ذو المشهرة لانه كانت له مشهرة (١) اذا لبسها في الحرب لا يبقي ولا يذر

دهاء معاوية — ذلك مما اشتهر أمره وسار ذكره وكثرت الروايات والحكايات فيه، ووقع الاجماع على ان الدهاة أربعة معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه رضي الله عنهم، فلما كان معاوية بحيث هو من الدهاء وبعد الغور وانضم اليه الدهاة الثلاثة الذين يرون بأول آرائهم أواخر الامور فكان لا يقطع أمراً حتى يشهدوه ولا يستضيء في ظلم الخطوب الا بمصابيح آرائهم سلم له أمر الملك والقت اليه الدنيا أزمتها، وصار دهاؤه دو دهاء أصحابه الثلاثة مثلا، ولم يذكر معهم في الدهاء الا قيس بن سعد بن عبادة وعبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي

فقه العبادلة — هم عبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر

(١) درع

ابن الخطاب وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمرو بن العاص، فهؤلاء من فقهاء الصحابة وثباتهم وعلمائهم ومن أنبئهم . ومن عبادلتهم أيضاً عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وعبدالله بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهم أجمعين

وليمة الاشعث — كان الاشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي ارتد في جملة أهل الردة ، فلما أتي به لابي بكر رضي الله عنه أسيرا استتابه واطلقه وزوجه أخته أم فروه بنت أبي قحافة فاصبح صبيحة البناء وخرج شاهراً سيفه فلم يلق ذات أربع مما يؤكل لحمه الا عقرها، فقال الناس هذا الاشعث قدارتد ثانية ، ثم انه قال : يا أهل المدينة انا والله لو كنا ببلادنا لاولمنا فاجتزروا من هذه اللحمان وتصادقوا في الاثمان ، فلم يبق دار من دور المدينة الا دخلها من تلك اللحوم، ولم ير يوم أشبه بيوم الاضحى من ذلك، فضرب أهل المدينة المثل بوليمة الاشعث فقالوا: وليمة الاشعث ، وأولم من الاشعث

حلم الاحنف — قال الجاحظ قد ذكروا في الاشعار حلم لقمان ويقيم بن لقمان وذكروا قيس بن عاصم ومعاوية بن أبي سفيان و رجالا كثيراً مارأينا هذا الاسم التزق بأحد والتحم بانسان وظهر على الالسنة كما رأيناه تهيأ للاحنف ابن قيس ، ثم كان على ذلك رئيساً في اكثر تلك الفتن، فلم ير حاله عند الخاصة والعامة وعند النساك والفتاك وعند الخلفاء الراشدين والملوك المتغلبين، ولا حاله في حياته ولا حاله بعد موته الا مستوياً ، فينبغي ان يكون قد سبقت له من النبي صلى الله عليه وسلم، دعوة وقال فيه كما رووه وذكروه، أو يكون قد كان يضمر من حسن النية ومن شدة الاخلاص مالم يكن عليه أحد من نظرائه، فان قال قائل: تزعمون ان عبد المطلب كان أحلم الناس وكذلك العباس بن عبد المطلب قلنا: ان الاحنف كان الحلم سيد عمله فبان حلمه من سائر أعماله، ومحاسن عبد المطلب

Digitized by Google

وخصال العباس في المجد والشرف كانت متكافئة متساوية كل خصلة منها تنتصف من أختها فكانت كما قال الشاعر

اني غرضت الى تناصف وجهها غرض المحب الى الحبيب الغائب

واذا كانت الخصال كذلك لم يغلب على صاحبها اسم دون اسم ورجع الامر الى ان يسمى سيداً ، وما أشبه ذلك من الاسماء الخاصة

زهد الحسن — قال الجاحظ كان الحسن رضي الله تعالى عنه يستثنى من كل غاية . و قالوا ازهد الناس الا الحسن ، وافقه الناس الا الحسن وافصح الناس الا الحسن وأخطب الناس الا الحسن ، وعلى هذا كان جميع كلامهم

ورع بن سيرين — قال الجاحظ كان يقال زهد الحسن و ورع بن سيرين وعقل مطرف وحفظ قتادة وكلهم من البصرة ، قال الشاعر

فانت بالليل ذئب لاحريم له و بالنهار على سمت ابن سيرين

لما لم يستقم له ان يقول على و رع بن سيرين أقام السمت مقامه وأحسن وهذا من لطائف الشعر

سجع المختار — كان المختار بن أبي عبيد الثقفي لا يوقف له على مذهب ، كان خارجياً ثم صار زبيريا ثم صار رافضياً يدعو الى محمد بن الحنفية ويطلب بدم الحسين رضي الله عنه ، وتغلب على الكوفة وفعل الافاعيل ، فقيل له : يا ابا اسحاق كيف خرجت تدعو الى هؤلاء القوم ولم تعرف بالتشيع لهم ؟ فقال اني رأيت مروان وثب على الشام وابن الزبير على مكه ونجدة على اليمامه وابن حازم على خراسان ووالله ما انا دونهم . وكان يدعي انه يلهم ضرباً من السجع لامور تكون ثم يحتال فيوقعها فيقول للناس هذا من عند الله ، ولما قيل لابن عباس رضي الله عنهما . ان المختار يزعم انه يوحي اليه ؟ قال : صدق المختار يعني قول الله عز ذكره

Digitized by Google

— وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم — وقيل للمختار انك تقول أشياء فلا تكون فقال : يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ، فمن اسجاعه أنه قال ذات يوم — لتنزلن من السماء نار دهماء ولتحرقن دار أسماء، فذكر ذلك لاسماء بن خارجة فقال: أو قد سجع بي ابو اسحاق هو والله محرق داري ، فتركه والدار وهرب من الكوفة ، وقال في بعض سجعه، اما والذي شرع الاديان وحبب الايمان وكره العصيان لاقتلن ازدعمان وجل قيس عيلان وتميما أولياء الشيطان حاشا النجيب ظبيان — فكان ظبيان يقول لم ازل في عصر المختار اتقلب آمنا . ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان لثقيف كذاباً ومبيداً . فقيل هما المختار والحجاج ، وفي المختار يقول ابو تمام متمثلا

والهاشميون استقلت غيرهم ... من كربلاء بأعظم الاوتار
فشفاهم المختار منه ولم يكن ... في دينه المختار بالمختار

وقال اعشي همدان في أيام ابن الاشعث للحجاج

ان ثقيفا منهم الكذابان ... كذابها الماضي وكذاب ثان

ومن ظريف مايحكى من حيل المختار انه كان عنده كرسي قديم العهد فغشاه بالديباج وقال هذا الكرسي من ذخائر أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه فضعوه في حومة القتال وقاتلوا عنه فان محله فيكم محل السكينة في بني اسرائيل . ويقال انه كان اشتراه من نجار بدرهمين، ولما وجه المختار ابراهيم الاشتر الى حرب عبيد الله بن زياد خرج يشيعه ماشيا ، فقال له ابراهيم اركب يا أبا اسحاق، فقال له : اني احب أن تغبر قدماي في نصرة آل محمد صلى الله عليه وسلم، فشيعه فرسخين ، ودفع الى قوم من خاصته حماما بيضاً ضخاماً وقال لهم: ان رأيتم الامر علينا فارسلوها في المعركة . وقال للناس اني أجد في محكم الكتاب

Digitized by Google

وفي اليقين والصواب ان الله ممدكم بملائكه غضاب تأتي في صور الحمام دون السحاب — فلما التقت الفئتان وكادت الدبرة تكون على عسكر بن الاشتر ارسلت الحمام البيض فتصايح الناس ، الملائكة الملائكة ، فتراجعوا فاسرع القتل في أصحاب عبيد الله ثم انكشفوا ووضعوا السيوف فيهم حتى أفنوهم ، فقال ابن الاشتر لقد ضربت رجلا على شاطيء النهر ورجع الي سيفي تنفح منه رائحة المسك ورأيت له اقداماً وجرأة فصرعته فشرقت يداه وغربت رجلاه ، فانظروا من هو ؟ فنظروا فاذا هو عبيدالله بن زياد

زكن اياس — هو ابو وائلة اياس بن معاوية ، وكان قاضياً فائقاً زكنا يضرب بزكنه المثل ، ولما أراد أبو تمام ان يتمثل به في شعر له ولم يستو له الوزن ان يذكر زكنه في البيت اقام الذكاء مقام الزكن فقال

اقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء اياس

ولابي الحسن المدائني كتاب مقصور على ذكر اياس وابراز نوادره وحكى الجاحظ عنه قال : كان اياس وهو صغير ضعيفاً ضئيلا وكان له أخ أشد حركة منه وأقوى ، فكان معاوية أبوه يقدمه على اياس ، فقال له اياس يوماً : يا أبت انك تقدم أخي عليّ وسأضرب لك مثله ومثلي ، فهو مثل الفروج حين تنفلق عنه البيضة يخرج كاسياً كافيا نفسه فيلقط ويستخفه الناس فكلما كبر انتقص حتى اذا تم فصار دجاجة لم يصلح الا للذبح ، وأنا مثل فرخ الحمام تنفلق عنه البيضة عن شيء ساقط لا يقدر على حركة وأبواه يغذيانه حتى يقوى ويثبت ريشه ثم يحسن بعد ذلك ويطير ويتخذونه الناس ويرسلونه من المواضع البعيدة فيجيء فيصان لذلك ويكرم ويشترى بالاثمان الغالية ، فقال له أبوه لقد أحسنت المثل فقدمه على أخيه فوجد عنده أكثر مما ظن منه به . وخرج اياس باقعة منقطع

obeikandl.com

Digitized by Google

النظير، وزعم الاصمعي ان اياسا نظر الى رجل من ثقيف أبيض بضّ فقال له أهندية أمك ؟قال لا والله ماضربت في هندية ولا هندي قط يعرف؟ قال بلى والله وان جهلت وانى لارى فيك أثار ذلك، قال لاوالله الا اللبن والحضانة فان خادمة هندية كانت لامي أرضعتني مدة مديدة،قال فمن ذلك،وقال المدائني حج اياس فسمع نباح كلب،فقال هذا كلب مشدود ،ثم سمع نباحه،فقال قد أرسل فلما انتهوا من الماء سألوا أهله فكان كما قال،فقيل له كيف علمت انه موثوق وانه قد أطلق ، فقال كان نباحه وهو موثق يسمع من مكان واحد فلما أطلق سمعته يقرب مرة ويبعد أخرى ويتصرف في ذلك .ومر ذات ليلة فقال أسمع صوت كلب غريب،فقيل له كيف عرفت ذلك قال ،بخضوع صوته وشدة نباح الآخر فسألوا عنه؟فاذا كلب غريب واذا كلب ينبحه، وقال رجل لاياس أنا أصنع مثل ماتصنع ، فنظر اياس الى صدع في الارض فقال مافي هذا الصدع؟ قال لاأدري وما أرى شيئاً،قال اياس فيه دابة، فنظروا فاذا فيه دابة،فقال اياس ان الارض لاتصدع الا عن دابة أو نبات، ونظر يوماً بواسط في الرحبة الى آجرة فقال تحت هذه الآجرة دابة، فنزعوها فاذا تحتها حية مطوقة، فسئل عن ذلك ؟فقال اني رأيت مابين الاجرتين نديا من بين جميع الرحبة فعلمت ان تحتها شيئاً يتنفس ورأى أثر رعي بعير فقال:هذا بعير أعور، فنظروا فكان كما قال، فقيل له من أين علمت هذا ؟فقال لاني وجدت رعيه من جهة واحدة

شجة عبد الحميد — يضرب مثلا للعورة تصيب الانسان الجميل فلا تشينه بل تزيده حسناً ،فكان عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب من أجمل أهل دهره فاصابته شجة في وجهه فلم تشنه بل استحسنها الناس ،وكان النساء يخططن في وجوههن شجة عبد الحميد، والله أعلم

Digitized by Google

الباب السادس

في ذكر رجالات العرب في الجاهلية والاسلام مختلفي الالقاب والمراتب مضافين الى أشياء مختلفة يضرب بأكثرهم الامثال

قريش الاباطح ، شيبة الحمد ، حاتم طيء ، كليب وائل ، زيد الخيل ، ملاعب الأسنة ، سحبان وائل ، ازواد الركب ، عروة الصعاليك ، أبو عروة السباع ، سعد العشيرة ، سعد المطر ، دعميص الرمل ، سليك المقانب ، عراف اليمامة ، شيخ مهو ، حنيف الحناتم ، واقد البراجم ، يسار الكواعب ، طفيل العرائس ، سعد القرقرة ، وضاح اليمن ، مجنون بني عامر ، شيخ المضيرة ، أمين الامة ، حواري النبي ، رباني الامة ، أشج بني أمية ، جبار بني العباس

الاستشهاد

قريش الاباطح — يقال لهم أيضاً قريش البطاح لانهم لباب قريش وصميمها الذين اختطوا بطحاء مكة وهي سرتها فنزلوها وهم بنو عبد مناف ، وبنو عبد الدار ، وبنو عبد العزى ، وبنو زهرة ، وبنو تيم بن مرة ، وبنو مخزوم ، وبنو سهم ، وجمح ، وبنو عدي بن كعب ، وبنو عامر بن لؤي ، وبنو هلال ابن أهيب بن ضبة بن الحارث من فهر . ويقال لهم الابطحيون أيضاً ، قال خلف ابن خليفة حين ذكر الاشراف الذين يدخلون على ابن هبيرة

وقامت قريش قريش البطا ح مع العصب الاول الداخلة

وما أحسن ما قال البحتري يمدح المتوكل

يا ابن الاباطح من أرض أباطحها في ذروة المجد أعلى من روابيها

ما ضيع الله في بدو ولا حضر رعية أنت بالاحسان راعيها

Digitized by Google

فهؤلاء قريش الاباطح. وأما قريش الظواهر فهم الذين لم تسعهم الاباطح فنزلوا ظواهر مكة ،وهم معيص بن عامر بن لؤي وتيم بن غالب بن فهر ومحارب والحارث ابناء فهر

شيبة الحمد — كان يقال لعبد المطلب بن هاشم شيبة الحمد لنور وجهه، وذلك انه كانت في ذؤابته شعرة بيضاء حين ولد فسمي شيبة الحمد ،وفيه يقول حذافة ابن غانم

بنو شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

حاتم طيء — جواد العرب المضروب به في الجود المثل ، أنشد الجاحظ لابي الشمقمق

لما سألتك شيئاً أبدلت رشدا بغي
ممن تعلمت هذا أن لاتجود بشي
أما مررت بعبد لعبد حاتم طي

وقال آخر

الجود حاتم طيء وحاتم البخل عون
له مطابخ بيض والعرض أسود جون

ونظر أحرم بن حميد الطوسي الى رجل يقول: أنا مسلوب الغنى ،فنزل عن برذونه وأعطاه اياه فانشأ يقول أبياتا منها

اليّ مسلوب الغنى الي حاتم طيء وحميد طي
مدار احياء العلا علي

وقال الصاحب لابن العميد

وهوان جاد ذم حاتم طيء وهو ان قال قلّ قس أيادي

Digitized by Google

وأخباره في الجود أكثر من ان تحصى وأشهر من ان ينبه عليها ، ومن أحاسنها انه قسم ماله بضع عشر مرة ، ومر في سفر له على بني عنزة ولهم أسير في القدّ فاستغاث به ولم يحضره فكاكه ففاداه وخلاه وأقام مقامه في القد حتى أدى فداه . و روت الرواة بالاسانيد عن ملحان ابن أخي مارية امرأة حاتم قال: قلت لها ياعمتي حدثيني ببعض عجائب حاتم ؟ فقالت كل أمره عجيب فعن ايه تسأل ؟ قلت حدثيني بما شئت . قالت أصابت الناس سنة اذهبت بالخف والظلف وأكلت النفوس ، فبتناذات ليلة وقد أسهرنا الجوع فأخذ هو عدياً وأخذت أنا سفانة(١) وجعلنا نعللهما حتى ناما ثم أقبل عليّ يعللني بالحديث حتى أنام فرققت لما به من الجهد وأمسكت عن كلامه لينام ، فقال لي أنمت ؟ وكررها مرارا فلم اجبه فسكت ، ثم نظر من فتق الخباء فاذا بشخص قد اقبل فرفع رأسه فاذا امرأة تقول يا أبا سفانة أتيتك من عند صبية يتعاوون من الجوع كالذئاب ، فقال أحضريهم فوالله لاشبعنهم ، قالت فقمت سريعا وقلت بماذا ؟ فوالله ما نام صبيانك من الجوع الا بالتعليل . فلما جاءت الصبية قام حاتم الى فرسه فذبحه ثم قدح نارا وأججها ودفع اليها بعضه وقال لها اشوي وكلي ، ثم قال لي ايقظي صبيك ، فايقظتهما ، ثم قال والله ان هذا للؤم ان تأكلوا وأهل الحي جياع ؟ فجعل يأتي بيتاً بيتاً و يقول انهضوا عليكم النار ، فاجتمعوا حول الفرس وتقنع هو بكسائه وجلس ناحية فما أصبحوا ومن الفرس على الارض قليل ولا كثير الا حوافره وانه لاشد جوعاً منهم وما ذاقه

كليب وائل — كان سيد ربيعة في زمانه . قاد نزاراً كلها والعرب تضرب به المثل في العز والقوة والظلم ، وكان لايظلم الا القوي . و بلغ من عزه وظلمه انه كان يحمي الكلا فلا يقرب أحد حماه ويجير الصيد فلا يهاج ، وكان الناس اذا وردوا

(١) ابنه وابنته

الماء لم يسبق أحد منهم الا بأمره ،وان اصابهم مطر وقد ظمئوا لايحوض انسان حوضاً الا على مافضل عنه، وكان اذا اتى الماء وقد سبق اليه أحد لقي عليه الكلاب فتنهشه . وكان يعمد الى الروضة تعجبه فيأمر بأن يؤخذ كلب وتشد قوائمه فيلقى في وسطها فحيث بلغ عواؤه كان حمى لايرعى ،وكان لايمر بين يديه احد اذا جلس ولا يجثي في مجلسه غيره ولا يرفع الصوت عنده، ولما قتله من يمر ذكره في مكانه من هذا الكتاب رثاه مهلهل بقوله

نبئت ان النار بعدك أوقدت ... واستب بعدك يا كليب المجلس
وتكلموا في أمر كل عظيمة ... لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا

وقال أبو نواس يهجو اسماعيل الينبختي ويضرب المثل بكليب وائل

على خبز اسماعيل واقية البخل ... فقد حل في دار الامان من الاكل
وما خبزه الا كآوي يرى ابنه ... ولم ير آوى في الحزون ولا السهل
وما خبزه الا كعنقاء مغرب ... يصور في بسط الملوك وفي المثل
يحدث عنها الناس من غير رؤية ... سوي صورة ما قد تمر مع النقل
وما خبزه الا كليب بن وائل ... ليالي يحمي عزه منبت البقل
واذ هو لا يستب خصمان عنده ... ولا الصوت مرفوع بجد ولا هزل
فان خبز اسماعيل حل به الذي ... اصاب كليبا لم يكن ذاك عن ذل
ولكن قضاء ليس يستطاع رده ... بحيلة ذي مكر ولا فكر ذي عقل

قال الجاحظ وأبيات أبي نواس على انه مولد أشعر من شعر مهلهل .وفي اطراق الناس في مجالس كليب . قال مؤلف الكتاب . ومن الفاظ الامير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي أدام الله أيامه الجارية مجرى الامثال قوله لست مني بوائل ،ولو كنت كليب وائل

obeikandl.com

Digitized by Google

زيد الخيل — هو زيد بن مهلهل الطائي، قيل له زيد الخيل لطول طراده بها وقيادته لها، وكان جسيما وسيما يقبل المرأة على الهودج، ويخط رجله على الارض اذا ركب، وكان شاعرا ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم فسماه زيد الخير وقال له: يازيد ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الاسلام الا كان دون الصفة ليسك، يريد غيرك واقطعه أرضاً وكانت المدينة وبيئة، فقال لما خرج من عنده عليه السلام ان لم ينجع زيد من أم ملدم (١) فلما بلغ بلده مات

ملاعب الاسنة هو عامر بن الطفيل بن مالك أحد فرسان العرب المذكورين قال أبو عبيدة فرسان العرب ثلاثة، فارس تميم عتيبة بن الحارث بن شهاب وكان يقال له صياد الفوارس وسم الفوارس، وفارس ربيعة بسطام بن قيس بن مسعود وفارس قيس عامر بن الطفيل ملاعب الاسنة، فأما ملاعب الرماح فأبو براء عامر ابن مالك بن جعفر وكان بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله ان يوجه اليهم قوما يفقهونهم في الدين، فبعث اليهم قوما من أصحابه فعرض عليهم عامر ابن الطفيل فقتلهم يوم بئر معونة فلم يفلت منهم الا رجل واحد، فاغتم أبو براء لذلك وقلق لاخفار عامر بن الطفيل بقتلهم ذمته، وبلغ بني عامر موت عامر بن الطفيل وهو منصرف من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا النجعة فجعلوا يرتحلون. فقال أبو براء ما يصنع القوم؟ فقالوا يرتحلون لهذا الامر الذي حدث قال أبغير اذني؟ فقال بعض بني أخيه: يزعمون انه قد عرض لك في عقلك شيء منذ ساءك أمر هذا الرجل. فدعى لبيدا واستدعى قينتين له فشرب وغنتاه فقال يالبيد أرأيت ان حدث بعمك حدث ما كنت قائلا؟ فان قومك يزعمون ان عقلي قد ذهب والموت خير من غروب العقل. فقال لبيد

(١) أم ملدم الحمى

Digitized by Google

قوما فنوحاني مع النواح وأبنا ملاعب الرماح
ياعامر ياعامر القداح وعامر الكتيبة الرواح
لو كان حي مدرك الفلاح أدركه ملاعب الرماح

فلما أثقله الشراب اتكأ على سيفه حتى فاصت نفسه، وهو يقول: لا خير في العيش وقد عصتني بنو عامر

سحبان وائل — رجل من باهلة خطيب بليغ يضرب به المثل في الخطابة والبلاغة وهو القائل

لقد علم الحي اليمانون انني اذا قلت أما بعد أني خطيبها

وقال حميد الارقط وهو يهجو ضيفاً له ويضرب المثل في البيان بسحبان وفي العي بباقل

أتانا وماداناه سحبان وائل بيانا وعلما بالذي هو قائل
فما زال منه اللقم حتى كأنه من العيّ لما ان تكلم باقل

وقال بعض المحدثين

وعاشق تحت رواق الدجى أغرى به الحيرة فقدان
أعرب عن مكنون أسراره أحوى لطيف الكشح خمصان
كأنما يسحب في اثره ذيلا من الحكمة سحبان

أزواد الركب — هم ثلاثة نفر من قريش مسافر بن ابي عمرو بن أمية وزمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي وأبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، سموا بذلك لانه لم يكن يتزود معهم أحد في سفر، وكانوا يطعمون كل من يصحبهم ويكفونه الزاد، وكان ذلك خلقا من أخلاق اشراف قريش، ولكن لم يسم بهذا الاسم الا هؤلاء الثلاثة

obeikandl.com
Digitized by Google

عروة الصعاليك -- هو عروة بن الورد الذي يقول

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عذرا أو يصيب رغيبة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

قال المبرد : انما سمي عروة الصعاليك لانه كان اذا شكا اليه فتى من فتيان قومه الفقر أعطاه فرساً ورمحاً وقال له: ان لم تستغن بهما فلا أغناك الله

أبو عروة السباع - يضرب به المثل في جهارة الصوت وشدته قال أبو عبيدة: كان أبو عروة يصيح بالسبع وقد احتمل الشاة فيخليها ويسقط فيموت فيشق بطنه فيوجد فؤاده قد انخلع، قال الشاعر

زجر ابي عروة السباع اذا أردن ان يلبسن بالغنم

سعد العشيرة -- انما قيل له سعد العشيرة لانه كان يركب في عشرة من أولاده الذكور فكأنه منهم في عشيرة فصار مثلا للرجل يستكثر بابنائه وعشيرته ويتعزز بهم

سعد المطر -- قال الجاحظ انما قيل سعد المطر لانه كان يرى ملقياً في المطر وهو الذي يقول في ذلك

دع المواعيد لاتعرض لوجهتها ان المواعيد مقرون بها المطر
ان المواعيد والاعياد تقذفنا منه بأنكد ما يمنى به البشر
أما الثياب فلا يغررك ان غسلت صحو يدوم ولا شمس ولا قمر
وفي الشخوص له نوء وبارقة وان تبيت فذاك الفالج الذكر (١)

وقال: ومن ابتلي بالمطر دهاه المطر ويروى انه مولى الى سليمان جلس على طريق الناس وقد رجعوا من الاستمطار وقد سقوا فيهم ضاحكون مستبشرون

(١) الفالج الذكر هو الذي يهجم على الخوف

Digitized by Google

فأقبل على صاحب له . وقال : ليس بي الا سرورهم بالاجابة وانما مطروا لاني غسلت ثيابي اليوم ولم أغسل ثيابي قط الا جاء الغيم والمطر ، فليخرجوا غدا فان سقوا فاني ظالم. ولبعضهم في معناه

وماخفت اني غسلت ثيابي سوى ان يومي يعود مطيرا

دعميص الرمل — هو أهدى أدلاء العرب الطرق يضرب به المثل فيقال. أهدى من دعميص الرمل، ويقال انه دخل ويار وهي بلدة تزعم العرب انها بلدة الجن ولم يدخلها انسي غيره فرمته الجن بالرمل حتى عمي ثم مات، ولما اشتهر ذلك عنه غلب عليه هذا الاسم ، ويقال هو دعميص هذا الامر . أي العالم به قال الشاعر

دعموص أبواب الملو ك وراتق للخرق فاتق

سليك المقانب — هو سليك بن السلكة وهي أمه وكانت أمه سوداء وسليك أيضاً أسود، وهو أحد أعز بة العرب(١) وأعدى الناس لايشق غباره وأخباره في العدو والغارة مشهورة معروفة ، وكان يقول : اللهم اني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً ولو كنت امرأة كنت أمة اللهم تهيئ ما شئت اذا شئت اللهم اني أعوذ بك من الخيبة وأما الهيبة فلا هيبة. ومن ضرب المثل به أبو تمام في قوله

مفازة صدر لو تطرق لم يكن ليسلكها فرداً سليك المقانب

وقال

يمشي رويدا فاما حين يطلبنا فلا السليك يدانيه ولا رجل

عراف اليمامة — أحد كهان العرب المعروفين مثل اخبارية جهينة وكاهنية باهلة، ومثل شق سطيح ، فأما عراف اليمامة فهو رياح بن كحيله، وفيه يقول الشاعر

(١) العزبة كالعزلة اسم من عزب أي لازوج له

Digitized by Google

أقول لعراف اليمامة داوني فانك ان أبرأتني لطبيب (١)

شيخ مهو — يضرب به المثل في الخسران فيقال :اخسر صفقة من شيخ مهو، ومهو حي من عبد القيس، وكانت أياد تسب بالفسو وتعير به، فقام رجل من اياد بسوق عكاظ ومعه بردا حبرة فقال : من يشتري مني عار الفسو بهذين البردين ؟ فقام عبد الله بن زبيدة أحد مهو فقال : هاتهما واشهدوا اني اشتريت عار الفسو من اياد لعبد القيس بالبردين ، فلما أتى رحله وسئل عن البردين قال اشتريت لكم بهما عار الدهر فوثبت عبد القيس وقالت

ان الفساة قبلنا اياد ونحن لانفسوا ولا نكاد

وتفرق الناس عن عكاظ بابتياع عبد القيس عار الفسو حتى قال الشاعر

يامن رأى كصفقة ابن بيدره من صفقة خاسرة مخسره
المشترى الفسو ببردى حبره شلت يمين صافق ما أخسره

وقال ابن دارة في وقعة مسعود بن عمرو

واني وان ضربت حبال قيس وخالفت المزون على تميم
لاخسر صفقة من شيخ مهو وأجور في الحكومة من سدوم

ثم ان هذا العار زال عن اياد ولصق بعبد القيس فهجوا به كثيرا . ومرّ انسان بالجماز فقال: ياشيخ كيف آخذ الى عبد القيس قال

امض قدما وشمّ فان كرهت ريحة فشمّ

ومن هذا أخذ الحمدوني قوله في قينة ذات صنان

من كان لايدري لها منزلا فقل له يمشي ويستنشق

ضيف الحناتم — هو رجل من تيم اللات بن ثعلبة تضرب العرب به

(١) هذا الشعر يقتضي انه طبيب لا كاهن فتأمل

المثل في الابالة وهي مصدر الابل وهو البصير برعية الابل وما يصلحها ، فيقال آبل من ضيف الحناتم ، ومن كلامه الدال على ابالته قوله - من قاض الشرف وتربع الحزن وتشتى الصمان فقد أصاب المرعى —

وافد البراجم — يضرب به المثل في الشقاء والجبن ، وذلك ان أسعد بن المنذر أخا عمرو بن هند انصرف ذات ليلة من مجلس صفائه وهو ثمل فرمى رجلا من بني دارم بسهم فقتله فوثب عليه بنو دارم فقتلوه فغزاهم عمرو بن هند وقتل منهم مقتلة عظيمة ثم أقسم ليحرقن منهم مائة ، فبذلك سمي محرقا ، وأخذ تسعة وتسعين رجلا منهم فقذفهم في النار وأراد ان يبر قسمه بمن تكمل به العدة فمر رجل يقال له عمار من بني مالك بن حنظلة فتشمم رائحة اللحم فظن ان الملك قد اتخذ طعاما للاضياف فعرج اليه فأتي به . فقال له من أنت ؟ فقال أبيت اللعن أنا وافد البراجم ، فقال عمرو : ان الشقي وافد البراجم ، فصار مثلا للشقي يسعى بقدمه الى مراق دمه ، ثم أمر به فقذف في النار تحلة لقسمه . قال الطرماح في احراق عمرو بني دارم

ودارم قد قتلنا منهم مائة ... في جاحم النار اذ ينزون بالجدد
ينزون بالمستوى منها ويوقدها ... عمرو ولولا شحوم القوم لم تقد

وقال جرير يعير الفرزدق

أين الذين بنار عمرو أحرقوا ... أم أين أسعد فيكم المسترجع

يسار الكواعب - وهو عبد تعرض لبنت مولاه وراودها عن نفسها فنهته فعاودها فامتنعت عليه فعاد لعادته فقالت ان كان لابد فاني مخبرتك بخبر فان صبرت على حرارته صرت الى ماتريد ، فعمدت الى مجمر فادخلته تحته واشتملت على سكين حديد فجبت به مذاكيره فقال : صبراً على مجامر الكرام

Digitized by Google

ثم لم يلبث ان مات فصار مثلاً لكل جان على نفسه ومتعرض لما يجل عن قدره وفيه يقول الفرزدق لجرير

وهل أنت ان ماتت أتانك راكب الى آل بسطام بن قيس تخاطب
واني لأخشى ان خطبت اليهم عليك الذي لاقى يسار الكواعب

طفيل العرائس — ويقال له طفيل الاعراس أيضاً وهو من غطفان، ويقال انه من موالي عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ،وكان يتبع الاعراس فيأتيها من غير أن يدعى اليها، وهو أول من فعل ذلك واليه ينسب الطفيليون، وكان يقول: وددت ان الكوفة بركة ،صهرجة فلا يخفى عليّ من أعراسها شيء، وسئل عن أشرف الاعواد، فقال: عصى موسى ومنبر الرسول الله صلى الله عليه وسلم وخوان العرس ،وفيه يقول ذاهب في طريقه

وكنا بالمطالب قد شقينا ففزنا بالسعادة عن طفيل

وفيه يقول عملاق العثماني الذي كان نزل بنيسابور وهو الآن حي يرزق

تلبس عملاق بن غيدق الشقا وللخرق والاخفاق أثواب حارس
يطوف بنيسابور في كل سكة خليفة مولاه طفيل العرائس

سعد القرقرة — مضحك النعمان يعد في المستاكلين والمتطفلين ، وقيل له ما رأيناك الا وانت تزيد شحما وتقطر دماً ،فقال :لاني آخذ ولا أعطي واخطيء ولا ألام فانا طول الدهر مسرور ضاحك

وضاح اليمن — قال الجاحظ ثلاثة من العبيد قتلوا بسبب العشق ، منهم يسار الكواعب ،ومنهم عبد بني الحسحاس ،ومنهم وضاح اليمن، فاما يسار الكواعب فقد مرت قصته وأما عبد بني الحسحاس فانه كان شاعراً يتشبب ببنات مواليه ويصرح بالفاحشة بهن كقوله

Digitized by Google

واشهد بالرحمن اني تركتها وعشرين منها اصبعا من ورائيا

ولما عرض على السيف ضحك منه بعضهن فقال

فان تضحكى مني فيارب ليلة تركتك فيها كالقباء المفرج

وأما وضاح اليمن فانه كان شاعرًا من أجمل الناس واظرفهم وأخفهم شعرًا ،وهو القائل

ضحك الناس وقالوا شعر وضاح اليماني

انما شعري قند قد خلطت بجلجلان(١)

وعن الهيثم بن عدي قال :سمعت صالح بن حسان يقول:أفقه الناس وضاح اليمن في قوله

اذا قلت هاتي نوّليني تبسمت وقالت معاذ الله من فعل ماحرم

فما نولت حتى تضرعت عندها وأنبأتها مارخص الله في اللمم

ويحكى ان ام البنين بنت عبد العزيز بن مروان كانت تصادقه وتستخصه وكانت عند الوليد بن عبد الملك وكانت قد جعلت للوضاح هذا صندوقا تجعله فيه فاذا وجدت من الرقباء فرصة وغفلة أخرجته وخلت به ، فحمل الى الوليد جوهر نفيس فأمر خادماً له يحمله الى ام البنين ، فدخل الخادم اليها فوجدها قد خلت بوضاح ، فلما أحست بالخادم جعلته في الصندوق ولم تعلم ان الخادم قد بصر به ،فسألها الخادم أن تهب له جوهرة منه فزجرته وانكرت عليه تحكمه،فخرج الخادم وأخبر الوليد ، فدخل عليها وقعد على بعض الصناديق وقال لها : يا ابنة عمي هبي لي صندوقاً من صناديقك هذه ؛قالت ياأمير المؤمنين هي بأسرها لك ،قال

(١) القند العسل والجلجلان السمسم يريد ان شعره حلو في الذوق قد خلط بلطيف من تصويته

Digitized by Google

لا بل أريد واحدا منها، قالت خذ منها ماشئت ، وكان الخادم وصف له الصندوق الذي فيه وضاح وأعلمه بمكانه فأخذه فأمر بحمله واحتفار موضع يبلغ الماء به وأدلى الصندوق بما فيه اليه وهما ينظران فلم ير واحد من الوليد وام البنين أثر ذلك في وجه صاحبه ولا أجريا حديثه الى أن فرق بينهما الموت

مجنون بني عامر — هو قيس بن الملوح صاحب ليلى ، يضرب به المثل في الحب وهو أشهر من أن يذكر وشعره أسير من أن ينبه عليه، ومن أحسن مايروى له قوله

وأدنيتني حتى اذا ماسبيتني ... بقول يحل العصم (١) سهل الاباطح
تجافيت عني حين مالي حيلة ... وغادرت ماغادرت بين الجوانح

وقوله

وداع دعا اذ نحن بالخيف من مني ... فهيج أحزان الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما ... أطار بليلى طائراً كان في صدري

ويروى لليلى

لم يكن المجنون في حالة ... الا وقد كنت كما كان
لكنه باح بسر الهوى ... وانني قد ذبت كتمانا

شيخ المضيرة — (٢) كان أبو هريرة رضي الله عنه على فضله واختصاصه بالنبي صلى الله عليه وسلم مزاحا أكولا، وكان مروان بن الحكم يستخلفه على المدينة فيركب حمارا قد شد عليه برذعة فيلقى الرجل فيقول : الطريق الطريق قد جاء الامير . وعن أبي رافع قال : كان أبو هريرة رضي الله عنه ربما دعاني الى

(١) العصم من الظبي والوعول الذي في ذراعه بياض (٢) المضيرة طبيخ يتخذ من اللبن الماضر اي الحامض وربما خلط بالحليب

obeikandl.com

Digitized by Google

عشائه فيقول: دع العراق للامير، فأنظر فاذا هو ثريد بزيت، وكان يدعي الطب فيقول أكل التمر امان من القولنج (١) وشرب العسل على الريق امان من الفالج (٢) وأكل السفرجل يحسن الولد، وأكل الرمان يصلح الكبد، والزبيب يشد العصب. ويذهب الوصب والنصب، والكرفس يقوي المعدة ويطيب النكهة، والعدس يرق القلب ويذرف الدمعة، والقرع يزيد في اللب ويرق البشره. وأطيب اللحم الكتف وحواشي فقار العنق والظهر، وكان يديم أكل الهريسة والفالوزج ويقول هما مادة الولد، وكان يعجبه المضيرة جدا فيأكل مع معاوية فاذا حضرت الصلاة صلى خلف علي رضي الله عنه. فاذا قيل له في ذلك، قال مضيرة معاوية أدسم وأطيب والصلاة خلف علي أفضل، وكان يقال له شيخ المضيرة وفيه يقول

وتولى أبو هريرة عن نص ر علي ليستفيد الثريدا

ولعمري ان الثريد كثير المذي ليس يستخف الهبيدا (٣)

أمين الامة — هو أبو عبيدة بن الجراح، وكان من عظماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عليه السلام يقول: لكل امة أمين وأمين هذه الامة عبيدة بن الجراح، وروى أنه أتي بطعام فقال: يستحب أن يبدأ رجل صالح فابدأ يا أبا عبيدة

حواري النبي صلى الله عليه وسلم — هو الزبير بن العوام لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: لكل نبي حواري وحواريّ الزبير، وكان أحد العشرة الذين بشروا بالجنة. وأحد أصحاب الشورى، ولما قتل أتي الى علي بسيفه فنظر اليه وقال: هذا هو السيف الذي طال ما جلا الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه

---

(١) رياح الامعاء (٢) نوع من الشلل (٣) الحنظل

Digitized by Google

وسلم: وبشر قاتله بن جرموز بالنار. وقال سمعته عليه الصلاة والسلام، يقول بشروا قاتل ابن صفية بالنار

ربّاني الامة وحبرها وترجمان القرآن - والرباني المتأله العارف بالله تعالى وقال الله عز وجل في القرآن -- كونوا ربانيين -

أشجّ بني امية - هو عمر بن عبد العزيز بن مروان وامه ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان عمر يقول: ان من ولدي رجلا بوجهه أثر يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا. ولما نفحه (١) حمار برجله فأصاب جبهته وأثر فيها قال أخود أصبع: الله أكبر هذا أشجّ بني امية يملك ويملأ الارض عدلا، ولما قال عمر في يزيد بن المهلب: أي عراقي هو لولا عذرة في رأسه، بلغ ذلك يزيد فقال: من يعذرني من لطيم الحمار

جبار بني العباس -- كان يقال للرشيد جبار بني العباس لانه أغزى ابنه القاسم الروم فقتل منهم خمسين الفاً وأخذ خمسة آلاف دابة بسروج الفضة ولجمها وأغزى علي بن عيسى بن ماهان بلاد الترك فقتل منهم أربعين الفاً وسبى عشرة آلاف وأسر ملكين منهم، ثم غزا الرشيد نفسه الروم وافتتح هرقلة وأخذ الجزية من ملك الروم، ولم يخلف أحد قط من الملوك ماخلفه الرشيد من الاثاث والعين والورق (٢) والجواهر وكان بقيمة مائة الف الف وعشرين الف الف دينار أي قيمة الضياع والدواب والعبيد

(١) نفح أي ضرب بالرجل (٢) الورق بكسر الراء أي الدراهم المضروبة

Digitized by Google